الأصالة

عودةً إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمَّة

١١

رسالةٌ إسلاميّةٌ منهجيّةٌ جامعةٌ

تصدر مُنْتَصفَ كلِّ شهرٍ هجريَّ
(وفي كلِّ شهرين مرَّة مؤقتاً)

العدد الحادي عشر: ١٥ ذو القعدة ١٤١٤هـ

... تقرأ في هذا العدد:

مسائل وأجوبتها: للعلامة المحدث الألباني.
القواعد المهمة التي تبنى عليها وحدة الأمة: محمد شقرة.
نصائح وتوجيهات للحُجّاج: محمد جميل زينو.
زاد الحاجّ: رياض الحقيل.
أقرضوا المحتاجين: خالد العنبري.
التحذير من الشرك: عبد العظيم بدوي.
البوطي من خلال كتبه: أبو عبد الله الشامي.

...... بالإضافة إلى عدد من الأبواب الثابتة

والمواضيع العلمية الأخرى ....

الأصالة

عَودةٌ إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَف الأمَّة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجِيَّةٌ جامِعَةٌ

العدد الحادي عشر - السنة الثانية
١٥ ذو الحجّة ١٤١٤هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نَصر

ص.ب ١١٣/٥٣٣٨
بيروت-لبنان

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إنَّ الحَمدَ للّه، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ، ونَعوذُ باللّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أَعمالنا، مَن يَهدِهِ اللّهُ فلا مُضِلَّ لهُ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أنَّ مُحمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلاّ وَأنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يا أيُّها النّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالاً كثيراً ونِساءً واتَّقوا اللّهَ الَّذي تَساءَلونَ بهِ والأرحام إنَّ اللّهَ كانَ عَلَيكُم رَقيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللّهَ وقولوا قَولاً سَديداً يُصلِح لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ اللّهَ ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزاً عَظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧١] .

أمّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللّه، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النّار .

المحتوى

فاتحة القول : ماذا ينقمونَ من السلفية ؟!

التحرير ٥

تأملات قرآنية : حياة الأمم .

محمد موسى نصر ٨

الكلم الطيب : « وفيه دَخن ... » .

سليم بن عيد الهلالي ١١

مباحث عقدية : التحذير من الشرك والحث على التوحيد .

عبدالعظيم بن بدوي ١٧

السلوك والتزكية : العقوبة والابتلاء .

مشهور بن حسن ٢٥

كلمات في الدعوة والمنهاج : لهذه الدعوة ... من لها ؟!

علي بن حسن ٣٢

الاقتصاد الإسلامي : أقرضوا المحتاجين .. وضعوا الدين عن المدينين .

خالد بن علي العنبري ٣٥
تصفية وتربية : القواعد المهمة التي تبنى عليها وحدة الأمّة .
محمد إبراهيم شقرة ٣٨
ملف الحجّ : نصائح وتوجيهات إلى حجاج بيت الله الحرام .
محمد بن جميل زينو ٤٥
زاد الحاج : رياض الحقيل ٤٨
وفاء ورثاء : الشيخ عبدالله بن جار الله الجار الله رحمه الله تعالى .
عبدالله بن حسن الصميعي ٥٤
الكتب تعريفاً ونقداً : الدكتور البوطي من خلال كتبه .
أبو عبدالله الشامي ٥٩
عظات وعبر : أحكام شهر الله المحرم .
أم عبدالرحمٰن بنت محمد ٦٧
مسائل وأجوبتها .
محمد ناصر الدين الألباني ٧٤
أحوال العالم الإسلامي .
التحرير ٧٨
القرّاء ... منهم وإليهم .
التحرير ٨٠
مسك الختام : السليم والمقعد .
التحرير ٨٣

ماذا ينقمون من السلفية ؟!

التحرير

يظن فئام من الناس أن السلفية تساوي إطالة اللحية وتقصير الثياب وحسب !! وهؤلاء مخطئون خطأً شديداً إذ حكموا على السلفية هذا الحكم الجائر ؛ وليتهم سألوا إذ جهلوا ؛ فإنما شفَاء العَيِّ السؤال ، أو درسوا أُصولَ هذه الدعوة المباركة كتاباً وسنة على منهج سلف الأمة حتّى لِا يَظلِمُوا ولا يُظلموا .

إن السلفية – أيها السادة – عودة شاملة إلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين في الإيمان والعلم والعمل الصالح والسلوك الإسلامي النبيل ، وهم يَجْمَعُونَ بين العلم والعمل ، ويؤمنون بالحوار الهادئ القائم على الدليل ، ويكرهون التعصب لحزب أو فئة أو نِحلة أو شيخ أو قُطر أو جنس ، وهم يحذرون من الابتداع في الدين ، ويحاربون الشرك بأَنواعه ، سواء أكان شركاً في الربوبية أم شركاً في الألوهية أم شركاً في الأسماء والصفات ؛ فالشرك عندهم هو الشرك – على التفصيل المعلوم – شرك قبور أم شرك قصور ... كله ظلم عظيم ، ولكن يأبى الشانئون إلا رميهم بالبهتان من غير برهان !.

والسلفية دعوة لجمع كلمة المسلمين ، وحشد قدراتهم ، ورصِّ صفوفهم على

كلمة التوحيد ، لأنها أساس توحيد الكلمة ، والجهاد في سبيل اللّه تحت رايةٍ إسلامية لا تدعو إلى عصبية ولا جاهلية ولا عُمِّيَّة فالجهادُ الحقُّ - لاجهاد المنابر ! - أغلى أمانيهم ، وهو يسري في دمائهم ، ويجري في عروقهم ، ويحدثون أنفسهم به من غير صراخٍ ولا ضجيجٍ ؛ فالجهاد عندهم ليس اندفاعاً حماسياً ، أو تهوراً ارتجالياً بل له قواعده ، وضوابطه ، وشروطه ، وأحكامه .

والسلفية لا تدَّعي العصمة لدعاتها ؛ فكل ابن ادم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، وحسبهم أنهم أحبوا محمداً وصحبه ، واقتفوا أثارهم ومنهجهم حسب وسعهم - ولا يكلف اللّه نفساً إلا وسعها - والمرء يحشر مع من أحب ، ومن اتبع ولم يبتدع أَدركته محبةُ اللّه ومغفرته ، كما قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ .

والسلفيون وهم يبنونَ نهضةَ الأُمّةِ ورقيَّها على ماضيها القديم المشرق يفقهون واقع أُمتهم الأليم المحرق على ضوء كتاب ربهم وسنة نبيهم ، يبنونَ ذٰلك كلّه على قاعدةِ السياسةِ الشرعيّة الأصيلةِ ؛ محذرين من سياسة النفاق العالمية ، ومنذرين من خطر الشرعية الدولية التي تتلوّن تلوُّن الحرباء .

أما اهتمامهم بالمظهر فهو جزء من المحافظة على شخصيتهم الإِسلامية ؛ لأن المظهر عندهم لون من ألوان الولاء لأسلافهم والبراء من أعدائهم ، وهل يعاب الرجل إذا كان سمته حسناً ومظهره حسناً قريباً من لباس السلف الصالح ؛ ومن تشبه بقومٍ فهو منهم ؟

لقد أَطال البَعضُ لسانه في هذه الدعوة المباركة ورموزها ليصيب منها مقتلاً ، وينفر الناس عنها بعد أن آتت أُكلها ضعفين بإذن الله ، واستوت على سوقها ، تعجب جيل الإسلامِ الصاعدِ الذي ارتاد سبيل جيل القدوة محمد ﷺ والذين معه ، وأينعت ثمارها ، وحان قطافها ؛ فرموها بتهم شنيعة ، وافتراءات فظيعة ...

ولكنْ هيهات هيهات لما توعدون .

لقد كان لزاماً عليهم - إن أرادوا النُّصحَ حقّاً - أن يضعوا أصابعهم على مواطن الخلل - إن وجد - بصفاء الأخوة ونقاء المودة لا أن يعالجوا الأُمور بالتهويل والتضليل ، فإن هذه أعمال من لا خَلاق لهم ، ولقد وقع هؤلاء في أسوإٍ مما شنّعوا به على السلفيين لو كانوا يعقلون .

وختاماً ؛ فليس في السَّلفية صكوك أو أختام أو تقديس لبشر كائناً من كان كما يهرفُ هؤلاء !

إنَّما هي هدايةٌ للخَلْق ، ودعوةٌ للحقّ .

وعلى اللّه قصد السبيل .

حياة الأمم

محمد موسى نصر

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ الآية .

اعلم أخا الإيمان - وفقني اللّه وإياك - أن الحياة الحقيقية هي حياة الأرواح ، والتي تصفو بالاستجابة لله والرسول ؛ فلا حياة لمن لم يستجب لله والرسول ، وإن كان معدوداً من جملة الاحياء !

فالمستجيبون لله والرسول هم الأَحياء حقيقةً وإن كانت أبدانهم مفقودة ، فأمثالهم في القلوب موجودة ، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء في أبدانهم وحركاتهم .

وقد تنوعت أنظار المفسرين في معنى الحياة الوارد في هذه الآية ، والجمهور منهم على العموم ؛ كما نقل ذلك القرطبي - رحمه اللّه - في « الجامع لأحكام القرآن » (٧ / ٣٨٩) ، ويؤيده ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد بن المعلى - رضي اللّه عنه - قال : كنت أصلي فمر بي رسول اللّه ﷺ فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال : « ما منعك أن تأتي ؟ ألم يقل اللّه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله

وللرسول إذا دعاكم لِمَا يُحْييكم ﴾ » الحديث .

وقال بعض السلف كعروة بن الزبير : يعني الحرب الذي أعزكم الله بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم .

قلت : وهذا يصدّقه قولُ الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

فهم – وإن قتلوا في أعين الناس – أحياءٌ حقيقةً عند الله ؛ يأكلون ، ويشربون ، ويسرحون ، ويمرحون في الجنة ، يتمتعون بنعيمها ، وظلالها ، وأشجارها ، وأنهارها .

ولا تعارض بين الأمرين ؛ فالحياة الحقيقية لا تكون إلا بالاستجابة الكاملة لله والرسول ، ووجه هذه الحياة المشرق هو كون المسلمين في عزة ومَنَعة يجاهدون في سبيل الله من انحرف عن منهج الله ؛ ليكون الدين كله لله .

نعم ؛ إن الأمة الاسلامية إنما تحيى بالجهاد الذي يُعِزُّ الله به الإسلام وأهله ، ويذل به الشرك وأهله ، والأمة الإسلامية على مر العصور إنما ذلت حينما تنكبت سبيل الله ، فخالفت أمر الله ورسوله ، وعطلت شعيرة الجهاد ، وهدمت منارتها ، فالجهاد ذروة سنام الإسلام ، به يعز ، وبه يسمو ، وبه يحفظ العرض ، والأرض ، والأبدان ، والأديان ، والأموال .

وقد تجرعت الأُمة الإسلامية غصصاً وسامها عدوها سوء العذاب حينما نكست أعلام الجهاد ، ونكلت عن جهاد أعدائها ، وهذا ما أخبر به الرسول حيث قال : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد في سبيل الله ؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم »[1] .

فإحياء حقيقة معنى الجهاد جزء كبير من الرجوع إلى الدين الذي به حياة الأمم والشعوب ، إذ الجهاد من أعظم ما تحيى به الأمة الإسلامية ، وأي حياة للمرء عندما يدنس عرضه ، وينتهب ماله ، وتغتصب أرضه ، ويسام سوء العذاب ؟!

(١) صحيح ، وانظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » لشيخنا (١١) .

إنَّه وإن كان حياً فهو ميت ، والموت خير له من الحياة .

وقد وعد اللّه المؤمنين بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، وهذا مشروط بالسير على منهج اللّه واتباع رسولهِ ﷺ والجهاد في سبيله : ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ ؛ فالحياة هي حياة الأَرواح بإقامة الأَديان ، لا حياة الأَبدان بتحصيل الشَّهوات والملذات .

ولكن ينبغي أن نعلم بَدْءً وانتهاءً أنه لن ينطلق الجهاد في مساره الصحيح الحقّ إلا إذا حطت الأمة رحالها على الفهم الصحيح لهذا الدين ؛ وهو ما كان عليه رسول اللّه ﷺ وأصحابه مِن بعده .

فكلُّ جهادٍ على غيرِ سبيل النبيّ ﷺ وأصحابه فليسَ بجهادٍ ، وكُلُّ حياةٍ على غيرِ هٰذه الوجهةِ المُباركةِ فليست حياةً !!

فاللهم أحينا بالاسلام وأحي الإسلام بنا ، أنت ولي ذلك والقادر عليه .

قال محمدُ بن الحنفية :

إن اللّه عز وجل جعل الجنةَ ثمناً لأنفسكم ، فلا تبيعوها بغيرها .

« وفيه دَخَن... »

سليم بن عيد الهلالي

عرضنا سابقاً حالة الوَهَن التي أناخت بكلكلها ، وألقت بِجِرَانها ، وناءت بثقلها على واقع الأمة الإسلامية ؛ فأصاب دَخنُها قلوب المسلمين ، فأضحوا يحرصون على الدنيا ، ويفرُّون من الموت ، وها نحن نعرض الأسباب التي جعلت الشجرة الباسقة غثاء أحوى .

وتَجِدُ في الإشارةِ النبويَّةِ الواردةِ في حديثِ حُذيفة بنِ اليمانِ - رضي اللّهُ عنه - بيانَ ذٰلك حيثُ قال : كانَ الناسُ يسألونَ رسولَ اللّهِ عن الخيرِ ، وكنتُ أسألُه عن الشرِّ مخافةَ أن يُدركَني ؛ فقلتُ : يا رسولَ اللّهِ إنّا كنّا في جاهليّةٍ وشرٍّ ، وجاءَ اللّهُ بهذا الخيرِ ، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ ؟ قالَ : « نعم » . قلتُ : وهل بعدَ هذا الشرِّ من خيرٍ ؟ قالَ : « نعم ، **وفيه دَخَنٌ** » . قلتُ : **وما دخنهُ ؟ قالَ : « قومٌ يستنّونَ بغيرِ سنتي ، ويهدونَ بغيرِ هديي ، تعرفُ منهم وتنكرُ** » ، قلتُ : فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ ؟ قالَ : « نعم ؛ دعاةٌ على أبوابِ جهنَّمَ من أجابَهم إليها قَذفوه فيها » . قلتُ : يا رسولَ اللّهِ صفهم لنا . قالَ : « هم من جلدتِنا ، ويتكلّمونَ بألسنتِنا » . قلتُ : فما تأمرني إن أدركني ذلكَ ؟ قالَ : « تَلزمُ جماعةَ المُسلمينَ وإمامَهم » .

قلتُ : فإن لم يَكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ ؟ قالَ : « فاعتزل تلكَ الفرقَ كلَّها ، ولو أنْ تعض بأصلِ شجرةٍ حتَّى يُدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذلكَ »[١] .

إنَّ السمومَ الفتَّاكة الَّتي أنهكت قوةَ المُسلمين ، وشلَّت حركتَهم ، ونزعت بركتهم ليست هي سيوف الكفرِ الَّتي اجتمعت على الكيدِ للإسلامِ وأهلِهِ ودولتِه ، وإنَّما هي الجراثيمُ الخبيثةُ الَّتي تسللت إلى داخلِ جسمِ العملاقِ الإسلاميّ على فتراتٍ بطيئةٍ ؛ لكنَّها متواليةٌ ، وأكيدةُ المفعولِ .

وهذا يؤكِّدُ أنَّ الوصفَ الصليبيَّ اليهوديَّ لدولةِ الإسلامِ بـ « **الرَّجلِ المريضِ** » كانَ دَقيقاً (!) ، فهم الَّذينَ غَرسوا بكتيريا الشهواتِ وفيروساتِ الشبهاتِ في كيانِ دولةِ الإسلامِ ، ثمَّ نمت وترعرعت في أحضانِهم ومحاضنِهم ، وشربت لبانَهم حتَّى الثُمالةَ .

وقد تنوَّعت عباراتُ شارحي الحديثِ حولَ مفهومِ **الدَّخنِ** ، ولكنَّها - أخيراً - تتفقُ في مُحصلةٍ واحدةٍ ، وتتمخض عن أمرين هامين :

أوَّلها : أنَّ هذه مرحلةٌ ليست خيراً خالصاً ، وإنَّما هي مشوبةٌ بكدرٍ يعكِّرُ صفوَ الخيرِ ، ويجعلُ مذاقه ملحاً أُجاجاً .

الآخرُ : أنَّ هذا الكدرَ يُفسدُ القلوبَ ، ويجعلُها ضعيفةً حيثُ دبَّ إليها داءُ الأممِ ، وتَخطَّفَتْها الشبهاتُ .

ولسنا بحاجةٍ للوقوفِ طَويلاً عندَ كلِّ شرحٍ نبيِّنُ صحيحَه من قَبيحِهِ ، وسليمَه من سَقيمِهِ ؛ لأنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قررَ في ذٰلك أُموراً ذات دلالاتٍ :

الأولى : البِدَع :

إنَّ هذا الدَّخنَ انحرافٌ يعتري المنهجَ الحقَّ الَّذي كانَ يسودُ مرحلةَ الخيرِ الخالصِ ؛ فيؤدي إلى تشويه المحجةِ البيضاءِ الَّتي ليلها كنهارِها ، ألم يَقل ﷺ

(١) متفق عليه .

في تَفسيرِ **الدّخنِ** كما جاءَ في الحديث نفسِه عندما سألَه حُذيفةُ - رضي اللّهُ عنه - : « **قومٌ يستنونَ بغيرِ سنتي ، ويَهدونَ بغيرِ هديي ، تعرفُ منهم وتنكرُ** » .

هذا هو أصلُ الداءِ وجذرُ البلاءِ ، إنَّه انحرافٌ عن السُّنَّةِ في المَنْهجِ ، وانصراف عن السمتِ النبويِّ في السلوكِ والعملِ .

وبهذا يتضحُ أنَّ **الدّخنَ** الَّذي شابَ الخيرَ فَكَدَّر معينَه وغيَّرَ رواءه هو **البدعُ** الَّتي أطلَّت برؤوسِها من أوكارِ المُعتزلةِ ، والصوفيّةِ ، والجهميّةِ ، والخوارجِ ، والأشعريّةِ ، والمُرجئةِ ، والرَّوافضِ ، منذُ قرونٍ ، ابتغاءَ الفتنةِ ، فأمعنت في الإسلامِ تَحريفاً ، وانتحالاً ، وتأويلاً .

فلم يَبقَ - وللأسف الشديد - من القرآنِ إلّا رسمه ، ومن الإسلامِ إلّا اسمه ، ومن التعبّدِ إلّا جسمُه !

الثانية : حصونُنا مهددةٌ من الداخلِ :

لكيلا تستيقظَ الأمةُ الإسلاميّةُ على وخزِ الإبرِ السامّةِ المحقونةِ بالجراثيمِ الفاتكةِ الَّتي تغرزُ في جسمِها ، وإمعاناً في تضليلِها وتعتيمِ الأمورِ عليها ، وحجبِ الحقائقِ عن بصرِها ، فقد قامَ أئمةُ الكفرِ بإقامةِ مصانعَ داخليّةٍ ؛ لإفرازِ سمومِهم من الداخلِ ، فلا تَظهر أعراضُ المرضِ الخبيثِ إلّا بعدَ مدةٍ طويلةٍ ، وحينئذٍ يستعصي الداءُ على الطبيبِ ، ويُحيِّرُ اللبيب .

وقد تمَّ ذلكَ لأعداءِ اللّهِ بطريقتينِ :

الأولى : الابتعاث ، وهناك يتمُّ غسيلُ دماغِ أبناءِ المُسلمينَ ، ومن ثمَّ يرجعونَ إلى ديارِهم ينفذونَ ما سَمعوه ورأوه .

الثانية : الاستشراق ، ومنه تسلل الماكرونَ من أعداءِ اللّهِ تحتَ شعارِ الدراسةِ والبحثِ العلميّ ، وقد أثبتتَ الدراساتُ المُحايدةُ أنَّ هؤلاءِ المستشرقينَ عملاء لأجهزةِ المُخابراتِ الصليبيّةِ

اليهوديّةِ.

هذهِ الأَبْوَاقُ الَّتي تُرَدِّدُ ما يلقى في سمعها من أعداءِ اللّهِ ، وتفرزُ ما يَحقنُه بها أئمةٌ يَهدونَ إلى النارِ هم من جلدتنا ، ويتلكلّمون بلغتنا ، ويزعمُون الحرصَ على أمتنا ، وصيانةَ استقلالها ، والعملَ على بعثِ حضارتِنا !

ولذلكَ ؛ فإنَّ الذينَ غَرسوا هذهِ الجراثيمَ في جسمِ الأمةِ الإسلاميّةِ هم من أبنائها !!

ولكنَّ الرحمةَ المُهداةَ ﷺ لم يترك في الأمرِ لبساً ، فقد بيَّنه بوحيٍ من اللّهِ ولم يَكن حدساً ؛ ففي حديثِ حذيفة وصفٌ لهؤلاءِ النفرِ الّذين صنعهم أئمةُ الكفرِ على أعينهم ، وغذّوهم بلبانِهم ، فقالَ رسولُ اللّه ﷺ : « نعم ؛ دعاةٌ على أَبوابِ جهنَّمَ من أجابهم إليها قَذَفوهُ فيها » . قلتُ : يا رسولَ اللّهِ صفهم لنا . قالَ : « **هم من جلدتنا ، ويتكلَّمونَ بألسنتنا** » .

فهذه الصفةُ الأولى الّتي يُعرفونَ بها ، فهم من العربِ نسباً أو لغةً ؛ كما قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١٣ / ٣٦) .

وفي روايةٍ : « **وسيقومُ فيهم رجالٌ قلوبُ الشياطينِ في جثمانِ الإنسِ** »[1].

وهذه الصفةُ الثانيةُ الّتي يُعرفونَ بها ، فهم يُظهرونَ الحرصَ على الأُمةِ ، ومصالحها ، وسيادتها ، واستقلالها ... يُرضونَ الأمّةَ بألسنتِهم ، وتأبى قلوبُهم إلّا تنفيذَ ما تعلَّموه وتربوا عليه في محاضنِ أسيادِهم من الصليبيينِ واليهودِ .

قالَ تعالى : ﴿ ولن تَرضى عنكَ اليهودُ ولا النصارى حتَّى تتبعَ ملَّتهم ﴾ .

هذا ما يُخططُ له الأسيادُ من الفرنجةِ واليهودِ ، وينفذه العبيدُ من الرويبضاتِ الَّذينَ استنسروا في أرضِنا ؛ لأنَّهم ترعرعوا عليها ، وأكلوا من خيراتِها ، ولكنَّهم عُمِّدوا في محاضنِ حزبِ الشيطانِ ، وجنودِ إبليسَ الَّذين درَّبوهم على المبدأ الصليبيّ القاتلِ القائِل : إنَّه بَطيءٌ ؛ ولكنَّه أكيدُ المَفعول !

---

(١) أخرجه مسلم .

وهو ما حذَّرَ منه المولى عزَّ وجلَّ في قولِه : ﴿ كيفَ وإن يَظهروا عليكم لا يَرقبوا فيكم إلّاً ولا ذمَّةً يُرضونَكم بأفواههم وتأبى قلوبُهم وأكثرُهم فاسقونَ ﴾ .

قالَ تعالى : ﴿ وإذا لقوا الّذينَ آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوْا إلى شياطينِهم قالوا إنَّا معكم إنَّما نحنُ مستهزءُونَ ﴾ .

هكذا يستخفّونَ بالشعوبِ والأمم ؛ فأطاعتهم ، وأسلمت قيادَها لهم ؛ لأنَّها فسقت عن منهجِ اللّهِ ، وهم يَجرُّونَها إلى النارِ ، ويريدونَها أن تتبوَّأَ دارَ البوارِ..

وهؤلاءِ لا يَفترُونَ في الدعوةِ إلى ضلالتِهم ومنكرِهم ، ويُقيمونَ لذلكَ التجمعاتِ ، والأحزابَ ، والمؤتمراتِ ، والصالوناتِ ، ولذلكَ وردَ وصفُهم بأنَّهم دعاةٌ ؛ أي جماعة قائمة بأمرها ، وداعيةٌ النّاسَ إلى قَبولِها .

هذه التحذيراتُ النبويّةُ والومضاتُ السُنِّيَّةُ إشارةُ أصبعٍ للذينَ أُصيبوا بعمى الألوانِ ، فأصبحوا مجرَّدَ أبواق يُرددونَ ما يُلقي إليهم من وراءِ البحارِ ، وخلفِ الحدودِ (!) .

إنَّها تنبيهاتٌ للأمةِ الإسلاميّةِ لعلَّها تحذرُ كيدَ الكافرينَ ، وتستفيقُ فَلا ترجع تتبع سبيلَ المُجرمينَ .

إننا وَجدنا آثارَها في تاريخِ المُسلمينَ ، ورأينا شرورَها في دنيا الناسِ أجمعينَ .

والأمثلةُ كثيرةٌ تَفوقُ الحصرَ ، وهي متوارثةٌ في كلِّ عصرٍ ومصرٍ .

ولم تَزل جُموعُ دعاةِ الضلالةِ ترفعُ عقيرتَها إلى يومنا هذا تَدعو إلى جهنَّمَ – عِياذاً باللّهِ – ؛ فها هم **دعاةُ الديمقراطيّةِ** يصرخون ، وها هم **أربابُ الاشتراكيّةِ** ينهقونَ ، وها هم **أولياءُ القوميّةِ** يَنْبحونَ ... والناسُ وراءَهم يَلهثونَ ؛ لأنهم لم يستنيروا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ربوة ذاتِ قرارٍ مكين .

وبهذا يَكونُ مثيرو الدَّخنِ هم سلف دعاةِ الضلالةِ ، وبهذا يتضحُ أنَّ سلسلةَ التآمرِ على الإسلامِ ، وأهلِهِ ، ودولتِهِ لها جُذورٌ عميقةٌ في التأريخِ الإسلاميِّ .

الثالثة : سنواتٌ خدَّعاتٌ .

إنَّ ظاهرَ هذهِ المرحلةِ خيرٌ لكنَّ باطنَها من قِبَلِه الهَلاكُ ، ألم يَقل رسولُ اللّه في حديثِ حُذيفة عند مسلمٍ : « وسيقومُ فيهم رجالٌ قُلوبُ الشياطينِ في جُثمَانِ الإنسِ »

وهذا قد يَخدعُ كثيراً من الناسِ الّذينَ يَنظرونَ إلى ظواهرِ الأشياءِ ، لكنَّ أبصارَهم عن بواطنِ الأمورِ محجوبةٌ ، وبذلكَ لا يُلقونَ بالاً لإصلاحِ الخللِ من بدايتِهِ حتَّى لا يستفحل ، ويتسع الخرقُ على الرَّاقعِ .

إنَّ هذا الدَّخن يَنمو فاتكاً بالخيرِ حتَّى يُسيطرَ ؛ فتكونَ مرحلةُ الشرِّ الخالصِ ، وبدايةُ دعاةِ الضلالةِ ، وفرقِ الغوايةِ .

إنَّ رؤوسَ الفتنةِ يَعملونَ بنشاطٍ ، بينما أهلُ الحقِّ غافلونَ نائمونَ ؛ بدليلِ أنَّ هذا الدخنَ كبر حتّى سيطرَ ، ووثبَ على الحقِّ وأهلِهِ ، وثلَّ عرشَ دولتِهِ .

ولذلكَ فقد ضيِّعت الأمانة فألقت الأمورُ أزمَّتَها إلى الرويبضاتِ في هذه السنواتِ الخدّاعاتِ ، ووُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ ، ووُضعَ الحقُّ في غيرِ محلِّهِ .

عن أبي هريرةَ - رضي اللّهُ عنه - قالَ : قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ : « سيأتي على الناس سنواتٌ خدَّاعاتٌ ، يصدَّقُ فيهنَّ الكاذبُ ، ويكذَّبُ فيهنَّ الصادقُ ، ويؤتمنُ الخائنُ ، ويُخوَّنُ الأمينُ ، وينطقُ فيهم **الرُّويبضةُ** » . فقيلَ : **وما الرُّويبضةُ** ؟ قال : « الرَّجُلُ التافه يتكلَّمُ في أمر العامّةِ »[1] .

ولذلك ؛ فالأمة بحاجة إلى عودة شاملة إلى دينها على المنهج الذي كان عليه رسول اللّه ﷺ وأصحابه ، لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وعليه ؛ فالأمر بحاجة إلى قيادة ربانية تُرَشِّدُ وتُجَدِّدُ هذا الرجوع على منهاجِ النبوة يتبوأ العلماء فيها مكان التوجيه والتربية والإعداد حتى يأتي أمر اللّه ﴿ **إنَّ اللّه بالغ أمره قد جعل اللّه لكل شيءٍ قدراً** ﴾

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦) ، وأحمد (٢ / ٢٩١) وغيرهما ، وهو صحيح بطرقه وشواهده ؛ كما بينته في تخريج أحاديث « الاعتصام » .

التحذير من الشرك والحثُّ على التوحيد
في ظلال سورة يوسف عليه السلام

عبد العظيم بن بدوي

اِعلم علّمنا اللّه وإياك ما ينفعنا أن في قول الله تعالى فيما حكاه عن يوسف عليه السلام : ﴿ إنّي تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتّبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ﴾ إشارة إلى وحدة الملّة التي كان عليها إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام ، وهي ملّة التوحيد التي كان عليها الأنبياء أجمعون ، كما في قوله تعالى : ﴿ إن هذه أمّتكم أمّة واحدة ﴾ ، والأمّة هنا معناها الملّة .

وإلى هذه الملّة دعا يوسف عليه السلام صاحبيه فقال : ﴿ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلّا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إيّاه ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

وإلى هذه الملّة دعا جميعُ الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلّا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، ولهذا اتفقوا

جميعاً على كلمة سواء قالها كلّ نبيّ لقومه ؛ وهي : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

وإلى هذه الملّة دعا نبيّنا محمد ﷺ ، فلما قالت قريش : ﴿ ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة إنْ هذا إلا اختلاق ﴾ قال الله لنبيّه : ﴿ قل ما كنت بِدْعاً من الرسل ﴾ فلست بمبتدع ولكنّي متّبع ، كما قال تعالى له : ﴿ ثم أوحينا إليك أنِ اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ .

وقول يوسف عليه السلام : ﴿ إنّي تركت ﴾ جارٍ مجرى قول ربّنا : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾ وقوله : ﴿ اتّبعت ﴾ جارٍ مجرى قول ربّنا : ﴿ ويؤمن بالله ﴾ فلا بد أن يسبق الإيمَانَ الكفرُ ، لا بد أن يسبق الإيمانَ باللّه وحده الكفرُ بكل ما سواه ، ولهذا كلمة التوحيد مشتملة على هذين المعنيين ، فقولك : « لا إله » كفر بجميع الآلهة ، وقولك : « إلا الله » إيمان باللّه وحده إلٰهاً .

والهداية للتوحيد فضل اللّه يؤتيه من يشاء ، كما قال يوسف عليه السلام : ﴿ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ﴾ .

وتذكيراً بهذا الفضل وتحذيراً من فواته أو ضياعه نقول تحذيراً من الشرك وحثاً على التوحيد : إن الشرك ضلال مبين ، وظلم عظيم ، وهو من محبطات الأعمال ، وموجبات الذمّ والخذلان ، يُدخل صاحبَه النيران ، ويحرمه المغفرة والرضوان :

قال تعالى : ﴿ ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ ، ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بُنَيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرّك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾ ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ وقال بعد ذِكر جماعةٍ من الأنبياء في

سورة الأنعام : ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً ﴾ ، ﴿ ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ ، ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ وقال في الآية الثانية : ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ .

ولهذا كان الشرك من أصول المحرمات ، كما قال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم ألّا تشركوا به شيئاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل إنّما حرّم ربيّ الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ ، وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » ، قالوا : وما هنّ يا رسول اللّه ؟ قال : « الشرك باللّه » ثم عدّها[1] .

وفي تقديم الشرك إشارة إلى أنه أكبر الكبائر ؛ كما صرح بذلك رسول اللّه ﷺ في قوله : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟ قالوا : بلى يا رسول اللّه ، قال : « الشرك باللّه وعقوق الوالدين » ، وكان متكئاً فجلس ، ثم قال : « ألا وقول الزور ، ألا وقول الزور » فما زالوا يكرّرها حتى قلنا : ليته سكت !

وهو كذلك أعظم الذنوب كما جاء صريحاً عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال : قلت: يا رسول اللّه: أيُّ الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل للّه نِدّاً وقد خلقك » .

فالحذر كل الحذر من الشرك كلّه دقّه وجلّه ، فإن الشرك أخفى عليكم من دبيب النمل على الصفا ، ولا يأمن الوقوع في الشرك إلّا جاهل به وبما يخلّصه منه ، أمّا العارفون به وبخطره فإنهم أخوف الناس منه ، ولذا قال الخليل إبراهيم عليه

---

(١) ما ورد في هذا البحث من الأحاديث صحيح ؛ فهو في « الصحيحين » أو أحدهما .

السلام : ﴿ ربِّ اجعل هذ البلد آمناً واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام ﴾ ثم ذكر سبب خوفه منها فقال : ﴿ ربِّ إنهنّ أضللن كثيراً من الناس ﴾ فإذا عرف الإنسان أن كثيرين وقعوا في الشرك الأكبر ، وضلّوا بعبادة الأصنام ، أوجب ذلك خوفه من أن يقع فيما وقعوا فيه .

قال إبراهيم التيمي : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟ يعني إذا كان إبراهيم - وهو خليل اللّه - يخاف على نفسه الوقوع في الشرك ، فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟ .

إن أظلم الظلم هو الشرك ، وأعدل العدل هو التوحيد ، لأنه إذا كان العدلُ وضعَ الشيء في موضعه ، وصرفَ الحق لمستحقه من غير بخس ولا شطط ، فإن أعدل العدل هو التوحيد ، لأن التوحيد حق اللّه على العباد ، كما في حديث معاذ بن جبل رضي اللّه عنه قال : كنت رديف النبيّ ﷺ على حمار ، فقال لي : « يا معاذُ ، أتدري ما حقُّ اللّه على العباد ؟ وما حق العباد على اللّه ؟ » قلت : اللّه ورسوله أعلم ، قال : « حق اللّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحقُّ العباد على اللّه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » .

فإذا كان التوحيدُ حقَّ اللّه على العباد ؛ فإن العباد إذا وحّدوه فقد عدلوا ، وإذا أشركوا به فقد ظلموا .

ولهذا كان التوحيد من أوجب الواجبات كما قال تعالى : ﴿ وقضى ربّك أن لا تعبدوا إلّا إياه ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ .

ومن فضائل التوحيد : أنه من موجبات الأمن يوم الفزع الأكبر ، كما قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبِسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ ، والظلم هو الشرك كما فسّره النبي ﷺ ، وقال تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مُبْعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يَحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم

توعدون ﴾ .

ومن فضائله أنه مفتاح الجنة ، كما قال وهب بن منبه : « مفتاح الجنّة لا إله إلا اللّه » .

ومن فضائله أن اللّه تعالى يمحو به الخطايا ويكفّر به السيئات ، كما قال تعالى في الحديث القدسي : « يا ابن آدم ! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم ! لو بلغت ذنوبُك عنانَ السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم ! لو أتيتني بقُراب الأرْض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة » .

ومن فضائله أنه يثقل ميزان العبد يوم القيامة كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « إن اللّه سيخلّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلّاً ، كلّ سجلٍّ مثلُ مدِّ البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أَظْلَمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا ياربّ ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقال : أحضر وزنك ، فيقول : يا ربّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟! فيقال : فإنك لا تظلم ، فتوضع السجلّات في كفّة والبطاقة في كفّة فطاشت السجلّات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم اللّه تعالى شيء »[1] .

ولقد قسم العلماء التوحيد ثلاثة أقسام : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

أما « **توحيد الربوبية** » : فهو الإقرار ظاهراً وباطناً بأن اللّه سبحانه هو ربّ كل شيء ومليكه وأنه الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبّر أمر هذا الكون كلّه علويّه وسُفليّه .

---

(١) حديث صحيح ، وهو مشهور لدى أهل العلم بـ « حديث البطاقة » وانظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » لشيخنا (١٣٥) .

وأما « **توحيد الألوهية** » : فمعناه إفراد اللّه سبحانه بالعبادة ، وعدم صرف أيّة جزئية من العبادة لغير اللّه ، فإن هذا هو معنى الكلمة الطيبة ، كلمة التوحيد ، لا إله إلا اللّه ، أي : لا معبود بحقّ إلا اللّه ؛ لأن الله وحده هو الخالق وغيره مخلوق ، واللّه وحده هو الذي يُجيب المضطّر إذا دعاه ويكشف السوء : ﴿ **والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه** ﴾ .

وهذا التوحيد هو الذي من أجله خلق اللّه الخلق ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ؛ كما قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون . ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾ .

وهذا التوحيد هو الذي جادل فيه المشركون وأنكروه ، وقد كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميت من الحيّ ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله** ﴾ ولكنهم : ﴿ **كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئِنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** ﴾ .

فعلى المسلم أن يعلم أن الاعتراف بأن اللّه هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر لا يغني عنه من اللّه شيئاً حتى يعلم أنه لا إله إلا اللّه ، ويعمل بمقتضاها .

أما توحيد « **الأَسماء والصفات** » فمعناه : إثبات ما أثبته اللّه لنفسه في محكم كتابه ، أو فيما صحّ على لسان رسول اللّه ﷺ ، من غير تشبيه ولا تحريف ، ولا تمثيل ولا تعطيل ولاتكييف ، وقوفاً عند قوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ ؛ فـ ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ ردّ على المشبّهة ، و ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ ردّ على المعطلة ، وسبيل الحقّ بينهما لأهل السنة ، إثبات بلا تشبيه ، ونفي بلا تعطيل .

والصفات الواردة في الكتاب والسنة نوعان : صفات ذات ، وصفات فعل .

فأما « صفات الذات » فكالنفس ، والحياة ، والعلم ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والوجه ، واليد ، والساق ، ونحو ذلك .

وأما « صفات الفعل » فكالاستواء ، والنزول ، والمجيء ، والرضى ، والغضب ، والضحك ، والفرح ، ونحو ذلك .

والواجب علينا نحو هذه الصفات الإيمان بها وبمعناها ، وإثباتها لله ، من غير تشبيه ولا تحريف ، ولا تعطيل ولا تكييف ، فلا نقول : نفس اللّه كأنفسنا ، ولا : يد اللّه كأيدينا ، ولا نقول : استواء اللّه كاستوائنا ، ولا مجيئه كمجيئنا ، ولا نحرّف الكلم عن مواضعه فنقول : يد اللّه قدرته ، واستوى يعني استولى ، وإنما نقول كما قال الإمام الشافعي – رضي اللّه عنه – : « آمنت باللّه وبما جاء عن اللّه على مراد اللّه ، وآمنت برسول اللّه وبما جاء عن رسول اللّه على مراد رسول اللّه » .

وبعد ؛ فاعلم – رحمك اللّه – أن التوحيد هو أول منازل الطريق ، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى اللّه عز وجل ، وهو أول دعوة الرسل ، بدأوا به قبل الحلال والحرام ، ولقد لبث ﷺ في مكة عشر سنين أو يزيد ، وليس على لسانه سوى : « يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا اللّه تفلحوا » ، حتى إذا استقرت في قلوبهم ، وصحّت في تصورهم نزلت الفرائض مبدوءة بالصلاة ، ولم يزد عليها حتى هاجر ﷺ إلى المدينة ، فتتابعت الأوامر والنواهي ، فلم يُعانِ رسول اللّه ﷺ في إخضاعهم لها ، لأنه كان قد استنفذ الجهد الأكبر في مكة حتى انحلت عقدة الشرك ، فلما انحلت عقدة الشرك انحلت العقد كلها ، وكان المؤمنون كما وصفهم اللّه : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا** ﴾ .

ولذا كان النبي ﷺ إذا بعث رسله ودعاته إلى الأمم والأقوام أمرهم أن يبدأوا بما بدأ به من الدعوة إلى التوحيد ، كما قال لمعاذ بن جبل وقد بعثه إلى اليمن : « إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللّه وأني رسول اللّه ، فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فأعلمهم أن اللّه افترض عليهم خمس صلوات في كل

يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فأعلمهم أن اللّه افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم نتردُّ في فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

فعلى المسلمين جميعاً أن يهتموا بالعقيدة دراسة وتدريساً ، وتعلماً وتعليماً ،

وعلى الدعاة والمعلمين أن يقدموا العقيدة على كل شيء ، وأن يجعلوا لها الحظ الأوفر من دعوتهم ، والنصيب الأكبر من وقتهم ، فإن صلاح الأعمال من صلاح العقيدة ، وفساد الأعمال من فساد العقيدة : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ .

رزقنا اللّه والمسلمين سلامة التوحيد وصحة العقيدة ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه .

إنّا لَنفرحُ بالأيام نقطَعُها
وكلُّ يوم مضى يُدني من الأجل
فاعملْ لنفسك قبل الموت مجتهداً
فإنّما الربحُ والخسران في العمل

العقوبة ... و ... الابتلاء

مشهور بن حسن

العاملون للإسلام على الساحة كثيرون ، وكثرتهم لا تقلّ عن أُطُرهم وطروحاتهم ومناهجهم من حيث العدد ، وبعضهم يردِّد - بافتخار - أنهم متمايزون عن غيرهم بكثرة عطائهم وتضحياتهم ، ويأخذ هؤلاء في الاستدلال على ذلك بما لاقى أصحابه وإخوانه على الدرب من ألوان التعذيب .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل هذه المعاناة من باب العقوبة أم الابتلاء ؟

وللجواب على هذا السؤال ، نقول :

إنّ خلطاً يقع في تصوّر الكثيرين حول الابتلاء والأسباب التي تؤدّي إليه ، والنتائج المترتّبة عليه من جهة ، وحول العقوبة وأسبابها ونتائجها من جهة أُخرى ، وللتفرقة بينها نضع هذه المعالم :

أولاً : ليس كل ابتلاءٍ مرجعه وسببه الذنوب والمعاصي ، فلا ينبغي أن نسيء الظن بمن حلَّت بهم المصائب وقد يسيء هؤلاء - الذين حلّت بهم المصائب - بربهم الظن .

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : « وأنت تشاهد كثيراً من الناس

إذا أصابه نوع من البلاء يقول : يا ربي ما كان ذنبي حتى فعلت بي هذا ؟

وقال لي غيرُ واحد : إذا تبتُ إليه ، وأنبتُ ، وعملتُ صالحاً ؛ ضيَّق عليَّ رزقي ، ونكَّد عليَّ معيشتي ، وإذا رجعتُ إلى معصيته ، وأعطيتُ نفسي مُرادها ؛ جاءني الرزق والعون ... ونحو هذا .

فقلت لبعضهم : هذا امتحان منه ؛ ليرى صدقك وصبرك ، هل أنت صادق في مجيئك إليه ، وإقبالك عليه ، فتصبر على بلائه ، فتكون لك العاقبة ؟ أم أنت كاذب ، فترجع على عقبك ؟

وهذه الأقوال والظنون الكاذبة الحائدة عن الصواب مبنيَّة على مقدمتين :

إحداهما : حسن ظن العبد بنفسه وبدينه ، واعتقاده أنه قائم بما يجب عليه ، وتارك ما نُهي عنه ، واعتقاده في خصمه وعدوِّه خلاف ذلك وأنه تارك للمأمور ، مرتكب للمحظور ، وأنَّ نفسه أولى باللّه ورسوله ودينه منه .

والمقدمة الثانية : اعتقاده أن اللّه - سبحانه وتعالى - قد لا يؤيِّد صاحب الدين الحق وينصره ، وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا بوجه من الوجوه ، بل يعيش عمره مظلوماً مقهوراً مستضاماً ، مع قيامه بما أُمِر به ظاهراً وباطناً ، وانتهائه عما نُهِيَ عنه باطناً وظاهراً ، فهُو عند نفسه قائم بشرائع الإسلام وحقائق الإيمان ، وهو تحت قهر أهل الظلم والفجور والعدوان ، فلا إله إلا اللّه ؛ كم فسد بهذا الاغترار من عابدٍ جاهلٍ ، ومتديِّن لا بصيرة له ، ومنتسب إلى العلم لا معرفة له بحقائق دينه .

فسبحان اللّه ! كم صدّت هذه الفتنةُ الكثيرَ من الخلق - بل أكثرهم - عن القيام بحقيقة الدين »[1] .

---

(١) « إغاثة اللهفان » (٢ / ١٧٤ - ١٧٦ ، وانظر منه ١٧٧ - ١٨٥) .

ويعكس هؤلاء العاملون القول ، فتراهم نَسبوا كثرة المصائب التي حلّت بهم إلى كونهم مؤمنين ، فيشدِّد الله عليهم البلاء ، لحبِّه إياهم لا إلى كونهم خرجوا عن منهج اللّه ، وخالفوا أمره .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه اللّه تعالى – : « قد تصيب المؤمنين باللّه ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم ، لا بما أطاعوا فيه الرسول ، كما لحقهم يوم أُحدٍ بسبب ذنوبهم ، لا بسبب طاعتهم اللّه ورسوله ﷺ »[1] .

والذي أودُّ تأكيده هنا : أَنه لا بُدّ من النظر إلى مختلف الأسباب ومعرفة الإنسان لنفسه ، وما عليه الآخرون من التزامٍ أو غيره ، والمعرفة قبل ذلك بالتكاليف والمسؤوليات الواجبة على العباد ، وبذلك يستطيع أن يتبصّر بواقعه وواقع الناس من حوله ، وأن يكون منصفاً في حكمه .

ثانياً : ولعل السبب في عدم التفريق بين الابتلاء والعقوبة يعود إلى أن كلاً منهما قد يكون سببهما الفسوق والمخالفة لأوامر اللّه والرسول ﷺ ، فإذا وجد الفسق والخروج على حدود اللّه ، فقد يؤدّي ذلك إلى الإبتلاء والفتنة ، أو إلى الجزاء والعقوبة ، وذلك راجعٌ إلى حكمة اللّه ومشيئته وعدله ، وإلى طبيعة الخروج وحجمه ، ونوع الفسق ومقداره ، وطبيعة نفوس المخالفين ومقدار إصرارهم على المخالفة ، واللّه أعلم .

والتفريق بين الأمرين يحتاج إلى بصيرةٍ في الدين ، ومعرفةٍ بالسنن وطبيعتها ، ودراسة واعية لأحوال الناس ، ومقدار صلاحهم وفسادهم ، وقُربهم وبُعدهم من دينهم .

ثالثاً : إن الأسباب والمسبّبات هي مجال للابتلاء والامتحان ، وتنكّب هذه الأسباب والانحراف عما وضعت له يوقع في نتائج لا تُحمد عقباها ، كنوع

---

(١) « الحسنة والسيئة » (ص ٣٤) .

من الجزاء الدنيوي المعجَّل نتيجة الانحراف عن هذه الأسباب .

يقول الامام الشاطبي - رحمه اللّه تعالى - : « إنَّ الأسباب والمسبّبات موضوعةٌ في هذه الدار ابتلاءً للعباد وامتحاناً لهُم ، فإنها طريق إلى السعادة أو الشقاوة ، وهي على ضربين :

أحدهما : ما وضع لابتلاء العقول ، وذلك العالم كله من حيث هو منظور فيه ، وصنعة يستدلّ بها على ما وراءها .

والثاني : ما وضع لابتلاء النفوس ، وهو العالم كله أيضاً من حيث هو موصول إلى العباد المنافع والمضار ، ومن حيث هو مسخَّر لهم ، ومنقاد لما يريدون فيه ؛ لتظهر تصاريفهم تحت حكم القضاء والقدر ، ولتجري أعمالهم تحت حكم الشرع ؛ ليسعد بها من سعد ، ويشقى من شقي ، وليظهر مقتضى العلم السابق ، والقضاء المحتم الذي لا مردَّ له ، فإن اللّه غني عن العالمين ، ومنزَّه عن الافتقار في صنع ما يصنع إلى الأسباب والوسائط ، ولكن وضعها للعباد ليبتليهم فيها »[1] .

وهنا يخلط كثير من الناس بين تصوُّرهم لحقيقة الابتلاء وبين ما يتكلَّفونه نتيجة اختلال ممارساتهم وانحرافهم عن رؤية الأسباب الصحيحة وتنكّبهم إياها .

يقول خالص جلبي : « وهناك فرق بين المحنة والتحطيم ، بين الابتلاء والانسحاق ، والابتلاء تمحيص للنفوس ، ونوع من اليقظة والصحو ، كي يَحْدُثَ استنفارٌ كامل العضوية وهي تواجه التحدي ، فتدفع بقواتها العاملة والاحتياطية ، وبالتالي تسير بوعي في منهاج النظر والحركة ، والابتلاء حينما يأتي في الممارسة يصبح سحقاً وتحطيماً للعمل ، ولذا يجب **هنا الانتباه والتفريق بدقة بين أمرين** :

الأول : التغلب على الصعوبات في مواجهة العمل .

---

(١) « الموافقات » (١ / ٢٠٣) ، وانظر منه (ص ٢٣٢ - ٢٣٣) .

الثاني : ما يكلّفنا الخطأ في الممارسة من التنحّي عن العمل ، والفرق كبير بين التنمية والتنحية .

وخط العمل في الشكل الأول صحيح ، ودلالته طبيعية لا تخيف ... وأما الشكل الثاني في المحنة ؛ فهو يطحن الأشخاص والدعوة ، ويهرس العقيدة وأصحابها »[١] .

ويقول في موضع آخر : « يجب التفريق بحسم بين صنفين من المحنة ، صنف يحدث من أنواع الاضطهاد بسبب عقائدي بحق : تكذيب وإيذاء ، وتعذيب بدني وما شابه ، وصنف يحدث فيه مصائب بواعثها أخطاء العمل ، والصنف الأول يعالج الموقف فيه بزيادة شحنة الصبر والمصابرة ، والثاني بالصبر مضافاً إليه تعديل خطأ ما حدث كدرس لن يتكرر في المستقبل »[٢] .

رابعاً : وختاماً ؛ أحاول أن أضع بعض العلامات الفارقة بين الابتلاء والجزاء (العقوبة) :

١ - العقوبة هي الجزاء المعجل الذي يقع على العباد نتيجة الفشل والرسوب في الامتحان والاختبار ، بينما الابتلاء هو عملية دخول هذا الامتحان ، فالابتلاء مقدمة ، والعقوبة نتيجة .

٢ - الابتلاء من مجالاته الوقوف أمام الأسباب والمسببات ، والعقوبة ناتجة عن الانحراف عن هذه الأسباب ، وتنكّب مسارها .

٣ - الاختلاف في أسباب كل منهما ، فالإيمان والاستقامة على المنهج سبب الابتلاء ، واشتداده في هذا المجال دليل على شدَّة الإيمان ، ولذلك كان الأنبياء أشد الناس بلاء ، ثم الأمثل فالأمثل .

---

(١) « ظاهرة المحنة » (ص ٢٨ - ٢٩) .

(٢) « ظاهرة المحنة » (ص ٥٣) .

أما الجزاء والعقوبة ؛ فمرجعه وسببه الانحراف عن المنهج ، وكلما زاد الفسق ، وكبر حجم الانحراف ؛ اشتدت العقوبة .

٤ - الابتلاء سبيل للإمامة والتمكين ، بينما العقوبة حرمان منها ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابتلَى إِبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأَتمَّهُنَّ قال إِنِي جَاعِلُكَ للنَّاسِ إِماماً قالَ ومِن ذُرِّيتي قال لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

فإبراهيم - عليه السلام - جُعِلَ للناس إماماً ؛ لأنه نجح في كل ما ابْتُلي به وامتُحِنَ ، بينما الذين يفشلون في ذلك يُحرَمون هذه الإمامة ، ولا ينالون ذلك العهد ؛ ﴿ قَالَ لا يَنالُ عَهدي الظَّالمينَ ﴾ .

٥ - إذا كانت التكاليف قائمة على الوسطية والاعتدال ؛ فهي ابتلاء ، أما إذا مالت عن الاعتدال ؛ فهي جزاء وعقوبة للمكلَّف[1] .

٦ - الابتلاء قد يكون علامة على حب الله للعبد ورضاه عنه ، بينما العقوبة والجزاء إشارة إلى غضب الله وعدم رضاه عن العبد .

٧ - الابتلاء يهدف إلى تجميع كلمة الأمة ، وتمتين الروابط فيما بينها ، أما العقوبة ؛ فقد تكون سبباً في تشتيتها وضرب قلوب بعضها ببعض ، وزيادة العداوة والبغضاء بين أفرادها ، وهذا ما كان في مسلمي بعض بلداننا ، ﴿ فنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا به فأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ العَداوةَ والبَغضَاءَ إلى يَومِ القيامَةِ وسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ الله بما كانوا يعملونَ ﴾ .

« **فإن الأمانيَّ والمحاولات العاطفية والجهود التي تعتمد المناسبات** والمصالح الموسمية أوهى من أن تقيم القاعدة الإسلامية الجادة أو تحفظ وحدتها ، فما لم نحتكم

---

(١) انظر بسط هذه النقطة في « الموافقات » (٢ / ١٦٣) ، ففيه كلام نفيس للغاية .

إلى الكتاب حقيقة لا مظهراً ، بعد إسقاط كل القناعات الشخصية الموروثة من عصور الصراع الإسلامي - الإسلامي ، وما لم تكن كل قناعاتنا مستنبطة من الوحي محكوم به ، فلا أمل لنا بوحدة أو عمل أو خلاص » .

٨ - الفرق بينهما من حيث العلاج ؛ فالابتلاء يحتاج إلى الاستعانة باللّه ، والصبر ، والتقوى ، والرضا ... وما إلى ذلك من أمور ، أما العقوبة فتحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى التوبة والاستغفار والاستقامة وتصحيح المسار ، ومواكبة سنن الكون والحياة .

لو كنت ألفَ عام في سجدةٍ لربي
شكراً لفضل يوم لم أقضِ بالتمام
العام ألفُ شهرٍ والشهرُ ألفُ يومٍ
واليومُ ألفُ حين والحينُ ألفُ عام

هذِه الدعوةُ .. مَن لَهَا ؟!

علي بن حسن

نَعيشُ منذُ سَنَواتٍ - بحمدِ اللهِ - نهضةً علميَّةً دعويّةً عاليةً ، يُرَصِّعُ هامَتَها مَنْهَجٌ سَلَفيٌّ قَويٌّ منتشرٌ ضياؤه في أرجاء المعمورة، بل في أطرافِ الدنيا، يحوطُهُ علماءُ أفذاذٌ ، هم قِلّةٌ في العَدَدِ ، لكنّهم كَثْرَةٌ في العطاءِ ، وسَعَةٌ في العلم .

وَمِنْ ورائِهم يسيرُ سَيْراً حَثيثاً طَلَبَةُ علمٍ مُجِدُّونَ ، ومُتَّبِعُونَ صادِقونَ ، ولكنّهم - أيضاً - كمثل أشياخهم قليلونَ عَدَداً ، وقليلونَ عُدداً .

وهؤلاء وأولئكَ يُوَاجَهونَ بتيَّاراتٍ فِكريّةٍ ، وبتوجُّهاتٍ دعويّة ، كثيرٌ منها مخالف للكتابِ والسنّةِ ، وعديدٌ منها منقطعٌ عن أصولِ المنهجِ الحقِّ القائمِ على فَهْمِ السَّلَفِ الصالح .

ولمّا كانت لهذه الدعوةُ بهذا القَدْرِ من الحَزْمِ ، والجدّيّة ، والانضباط ، والتَّقْعيد ، حاولَ أن يتفلَّتَ من أحكامِها وقواعدِها كثيرٌ من العامّةِ ، وأنصافِ المُثَقَّفينَ ، بل مِنْ أشباه الدُّعاةِ أيضاً .

وهؤلاء المُتَفلِّتونَ - على اختلاف طبقاتهم - يتَّحدونَ في كثيرٍ من المواقفِ ليواجهوا دُعاةَ الكتابِ والسنّة ، بالنشراتِ حيناً ، والمقالاتِ حيناً ، والرسائل تارةً ،

والتسجيلات تارةً أخرى ، بكلماتٍ مُكرّرة ، ونَقَداتٍ مُتكرّرة :

فهم مَرَّةً : مُتَعصِّبونَ لمشايخهم !!!

ومَرّةً : جَهَلةُ واقع !!!

ومرّةً : بعيدونَ عن السياسة !!!

ومرّةً : مُرجئة عصريُّون !!!

ومرّة .. ومرّةً .. و ...

وهي تُهَمٌ ، وافتراءات ، ليس لها موضعٌ إلّا في أذهانِ قائليها ، وليس لها دافعٌ إلّا نفسيّاتُ أصحابِها !!

ولو بَحَثْتَ عن أصولِ هٰذه التُّهَم لرأيتها انعكاساتٍ فكريّةً ناتجةً عن ردّاتِ فعلٍ لمواقفَ إمّا شخصيّة ، أو اجتماعيّة ، أو سياسيّة !!!

ولستُ أُريدُ في هٰذا المقام تفنيدَ هٰذه الشبهاتِ ، ونقض هٰذه التمويهات ، فهي أقلُّ من أن يغترَّ بها عاقلٌ ! ولٰكنّي أُريدُ التوكيدَ على شيئين مُتقابلين :

الأوّل : أنَّ كثيراً من أصحابِ الدعواتِ الحَرَكيّة والفكريّة (يتوسّعونَ) في أساليبِ دعوتِهم ، واستجلاب (المدعوّين) لها ، بطرائقَ عاطفيّة حيناً ، وحماسيّة حيناً ، مُقَلِّدين تارةً ، ومُتشَبِّهين تارةً أُخرى !! ممّا يجعل أُولٰئكَ (المُتَفَلّتين) ولٰهؤلاء الداعين أو المدعوّين يتوجّهونَ نحو هٰذه الدعوات ؛ يسمعون .. ويستمعون .. فلعلهم يستجيبون !!

الثاني : أنَّ الانضباطَ المنهجيَّ لدعوة الكتاب والسنّة – علماً وعملاً ، فكراً ودعوةً – يجعل الحِمْلَ ثقيلاً على ظهورِ دُعاةِ هٰذه الدعوةِ ، وحملةِ هٰذه الفِكْرة ، فليسَ ثمَّت مِنْ أُسلوبٍ يدعونَ به وإليه إلّا المنهج العلميّ الجادّ المُنضبط ، ممّا يتطلّبُ التزاماً زائداً ، وقَدْراً شديداً من البصيرة العلميّة النافذة ، حتّى يستطيع المدعوّونَ فَهْمَ الدعوة على وَجْهِها الحق ، بعيداً عن شبهاتِ أهلِ الشبهاتِ ، وبعيداً عن تمويهاتِ أهلِ

التمويهات !!

إذن ؛ الحِمْلُ ثَقيلٌ ، والطريق طويلٌ ، والدعوةُ تستصرخُ المسلمين أجمعين ؛ ليكونوا عباداً للّهِ صادقين ، ودُعاةً مُخلصين ملتزمين .. فهلم من مُستجيب !؟

لهذه الدعوة تُنادي .. فمن لها ؟!

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا استجيبوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكم لما يُحييكم واعلموا أنَّ اللهَ يحولُ بينَ المرءِ وقلبِه وأنّه إليه تحشرونَ ﴾ .

أقرِضوا المحتاجين ... وَضَعوا الدَّين عن المدينين

خالد بن علي بن محمد العنبري

إنَّ نظرةَ الإسلامِ للمالِ نظرة واسعة حكيمة ، جديرة بتحقيقِ التكافلِ والتراحمِ بين المسلمين ، فالمالُ في الإسلامِ مالُ اللهِ سبحانه ، لقوله عزَّ شأنه : ﴿ وآتوهم من مالِ اللهِ الذي آتاكم ﴾ ؛ استخلفَ الإنسانَ فيه ، وفوَّضه في التصرّفِ فيه ، وَفْق شرعِه القويم ، فلا احتكاراتَ ، ولا تسلُّطَ ، بل إنفاق وسخاء ، ورحمة وإحسان .

ومن سماحة الإسلامِ الندية ورحمته لفقراء البشريّة أن رغَّبَ الأغنياءَ في إقراضِ المحتاجين ، والصبر على المعسرين ،ووضع الدَّين عمّن لا يجدُ وفاءً من المدينين ، وَوَعدَ من يصنعُ ذلكَ أجراً عظيماً ، وفضلاً كبيراً ، فمن ذلك :

١ - أجر الصدقة ، فإنَّ للمقرضِ « كلَّ يومٍ مثله صدقة قبلَ أنْ يحلَّ الدَّينُ ، فإذا حلَّ فأنْظرهُ فله كلَّ يومٍ مثليه صدقة »[١] .

٢ - التيسير على المقرض في الدنيا والآخرة ، كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً : « ومن يَسَّرَ على مَعْسِرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والأخرة »[٢] .

---

(١) صحيح أخرجه الحاكم (٢ / ٢٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٧٤) .

٣ – النجاة من كرب يوم القيامة ، كما فعل أبو قتادةَ لمّا طلبَ غريماً له ، فتوارى عنه ، ثمَّ وجدَه ، فقال : إنّي مُعْسِرٌ ! قال : آلله ؟

قال : آلله ، قال : فإني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : « مَنْ سَرَّهُ أن ينجيه الله من كرب يوم القيامةِ فليُنفّس عن مُعسرٍ ، أو يضع عنه »[١] .

٤ – أن يظلَّه الله جلَّ وعلا في ظلِّه ، يوم لا ظلَّ إلّا ظلُّه ؛ فعن أبي اليَسَر عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أنظَرَ مُعسراً ، أو وضعَ عنه أظلَّه الله في ظلِّه »[٢] .

٥ – أن يتجاوزَ الله عزَّ وجلَّ عنه ؛ فيغفر له ، ويعفو عنه ، كما في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « كانَ رجلٌ يُدايِنُ الناسَ فكانَ يقول لفتاه : إذا أتيتَ مُعسراً ، فتجاوز عنه ، لعلَّ اللهَ يتجاوزُ عنَّا ، فلقي الله فتجاوزَ عنه »[٣] .

وقد كانَ رسول اللهِ ﷺ يرشدُ الدائنينَ إلى إنظارِ المعسرين ، ووضع الدَّين عنهم ؛ فعن كعب بن مالك أنَّه تقاضى ابن أبي حَدْرَد دَيْناً كانَ له عليه في عهدِ رسول اللهِ ﷺ في المسجدِ ، فارتفعت أصواتهما ، حتّى سمعها رسول اللهِ ﷺ في بيته ، فخرجَ إليهما رسول اللهِ ﷺ حتى كشفَ سَجْفَ حجرته (أي : سِتْرَها) ونادى كعبَ بن مالك ، فقال : « يا كعب » فقال : لبيك يا رسولَ اللهِ ، فأشارَ بيدِه أن ضعْ الشطرَ من دَينِكَ ، قال كعب : قد فعلتُ يا رسول اللهِ ، فقال رسول اللهِ ﷺ : « قُمْ فاقضه »[٤] .

وقد طبَّقَ السلفُ الصالح لهذه المُثُلَ العُلى خيرَ تطبيق ؛ فعن الشعبيِّ قال : كانَ لعبدالله بن جعفر على رجلٍ من أهلِ المدينة خمسونَ ألفاً ، فاستعانَ عليه

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٦٢) .

(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) .

(٣) متفق عليه .

(٤) أخرجه الشيخان .

بعبيد اللّه بن عباس في ذلك ، فقال : « وقد حططتُ عنه شطرَها ، وأخّرته بالشطرِ الآخرِ إلى ميسرة » فجزاه عبيدالله خيراً وانصرفَ ، فأتبعه عبدالله بن جعفر رسولاً : « إني قد طيّبتُ له النصفَ الآخر » .

فيا سعادة مجتمعٍ يُرحَم فيه الفقيرُ ويُحسَنُ إليه ، وما أكثرَ الغرماء والمعسرين الذين ينتظرونَ تجاوزَ الدائنين وعفوهم ! وما أفقر الأغنياءَ إلى عفو الرحمٰنِ وحسنِ ثوابِه في الدنيا والآخرة !

سألـنـاه الجـزيـل فمـا تَلَـكّا
وأعطى فـوق مُـنْـيَتِـنا وزادا
مـراراً ما أعـودُ إلـيـه إلا
تبسَّم ضـاحـكاً وثـنـى الوسـادا

القواعد المهمّة
التي تُبنى عليها وحدة الأمّة

محمد إبراهيم شقرة

لعلّه من مَعادِ القولِ ، ومُكرّرِ الحديث ، ونافلةِ الكلامِ أن نكتبَ في هٰذا الموضوعِ ، لنذكّرَ الناسَ به ، وننبّه إلى بالغِ خطورتِه ، وخطورةِ الآثارِ المترتبة عليه سلباً وإيجاباً ، فقد أكثر القولَ فيه والحديثَ عنه علماء ، وطلّابُ علم ، ومثقفون ، قديماً وحديثاً بأساليبَ مختلفة نبّت قناعاتٍ ثابتةً في صدورِ المسلمين ، أنه لا مكانَ لهم في هٰذه الأرض التي تعيشُ فوقَها أُلوف الملايين من البشر ، إلا إن هم حافظوا على هٰذه القواعد أن تتزحزحَ أو أن تزولَ أو أن ينتابها شيءٌ من الوهنِ في نفسها ، أو نفوسِ المسلمين بضعفٍ ينتابهم في الثقة بها .

لكنّهم مع ثباتِ هٰذه القناعات ، فإنّهم هم يحكمون على أنفسهم أنّهم - بانفكاكهم من هٰذه القواعدِ ، وعدم القيام بحقِّها ، وهجرها زماناً طويلاً ، بل وغيابها عنهم ، وانطماسها في ذواكرِهم ، انطماساً أنساهموها بمرَّةٍ - لا يريدونَ أن يكونَ لهم بها كلّها، ولا ببعضٍ منها ، ذكرٌ في الأرض التي دانت لأسلافِهم زماناً ، وازدانت برايات الفتوح التي سعت بها الشعوبُ إليها ، وعزّت قناتُهم أن تُنالَ بالمكرِ والخديعة .

إنَّ واقعَ حياةِ المسلمين يُنْبِئُ بذاتِه - من غير دليلٍ يظاهره إلّا ما يكونُ منه - أنهم

غَدوا على تبعيّةٍ صاغرةٍ مهينةٍ لكلِّ من يشير إليهم ببنانِه من بعيدٍ ، أو يرفع لهم عقيرتَه بصيحةٍ من مكانٍ ناءٍ قصيٍّ ، أو لكلّ من يهمسُ في آذانِهم همساً يُرغِّبُهم بها أو يُرهِبُهم من قريبٍ ، واستمرأوا تلكَ التبعيّة ، حتّى صارت لهم دِثاراً وشعاراً ، وزاداً يُسَمِّنونَ به جسومَهم ، ويُهزلونَ به إراداتهم ، ويواطئونَ به السبيل التي ترسمُ على وجه الحياةِ لهم ، ثمَّ لا يجدونَ فيهم إلّا أن يكونوا كما يُرادُ منهم أن يكونوا ، حتّى لكأنَّما يكونُ ذٰلك حسبهم !!!

لذا ، فإنّه ليسَ من أمانةِ العلمِ ولا من الدينِ أن يُتركَ المسلمونَ من غيرِ تذكيرٍ أو بيانٍ ، إبراءً للذّمةِ ، وقياماً بحقٍّ واجبٍ - بما ينبغي أن يكونوا عليه - بما أفاءِ الله عليهم من نعمائِه - من اجتماعِ كلمةٍ ،وقوة بيانٍ ، وائتلاف صفٍّ ، تحذيراً من سوءِ عاقبة ، وإنذاراً من شرٍّ مخوف ، وترغيباً في صلاح أمرٍ ، بشارةً بفوزٍ وفلاحٍ في الدارين ، إن عادوا إلى القواعد الّتي عليها وحدة الأمة من قبل ، وهي :

أولاً : الأُخوة الإيمانية الصادقة التي أحكم الله عروتها ، ونَسَجَ لُحمتها ، ويسَّرَ أَسبابها ، وامتنَّ اللهُ بها على المؤمنين فقال : ﴿ **واذكروا نعمة اللهِ عليكم إذ كنتم أعداءً فألَّفَ بين قلوبِكم فأصبحتم بنعمتِه إخواناً** ﴾ ، وقال : ﴿ **لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ما ألَّفتَ بين قلوبِهم ولكنَّ اللهَ ألّفَ بينهم** ﴾ ولا تكون إلّا بالإيمانِ والإسلامِ : ﴿ **إنَّما المؤمنونَ إخوة** ﴾ ، ولٰهذه الأُخوةُ هي التي تنشئُ المودةَ في جماعةِ المسلمين ، وتنفي العداوةَ عنهم ، وتقارب بينهم ، ولا تُلْتَمسُ إلّا بالإسلامِ وحده ، فإنْ ذهبنا نلتمسها بغيرِ الإسلامِ ولَّت عنّا وأدبرت ، وأعرضت عنّا وانشمرت ، وتركتنا لما آثرنا عليها وتخلَّت ، فالذي أنشأه اللهُ سبحانه لا يكون إلّا كما أنشأه وأرادَه ، ولا يُطلبُ إلّا على وَفق مرادِه وبما شرعَ ، ولا يُرجى خيره ونفعه في الأمة إلّا بأسبابِه ومقاصده .

وقد ضُرب بين الأمة والأخوة الإيمانيّة بسورٍ منيعٍ باطنه فيه العذابُ ، وظاهرُه يتغشاهُ الضبابُ ، والأمةُ بين ظاهرِه وباطنِه إلى يَباب !! عقوبة حلّت فيها ، أذهبت عنها الأمنَ ، وأركبتها الخوف ، وأصارتها إلى ضيعة وحيرة ، وأسكتت في أنفسها حسيس

الغَيْرة ، ونشدت الأُخوة في طين الأرض ، وكدورة الترابِ ، وعَيْبةِ الجاهليّة ، وعمايةِ القوميّة ، وكَلَفِ العرقيّة ، ووغرِ الحزبيّة ، وأخلاطِ الشعوبيّة ، ومور الأَحقادِ الفكرية والدينية .

وها نحن اليوم نبحثُ عن لقاءٍ بين هٰذه الأمشاجِ ، ولو إلى دقائقَ معدوداتٍ ، نصل أنفسنا فيه بشيءٍ من أملٍ يذكّرنا بماضينا ، فلا واللهِ ما نحنُ بواجديه ، فقد استبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فَوَكَلَنا الله سبحانه إلى تقاطع ، وتنافر ، وتدابر ، جزاء ما جنينا على أنفسنا ، وغيَّرنا وبَدَّلنا في شريعة ربّنا ، وخالقنا عن أَمرِه فينا .

ثانياً : عقيدة التوحيد الخالصة : ليسَ يخفى على أحدٍ في الناس قديماً وحديثاً ، أنَّ العربَ كانوا أمة تخفقُ في قلوبها عصبية الجاهلية ، وتمزق أحشاء موداتها الأهواء القبلية ، وتسري في عروقها أوضار الوثنية ، فلما أن جاءهم محمد ﷺ بالإسلام ، ذهبت من قلوبهم عصبية الجاهلية ، وطارت عنهم أهواء القبليّة ، ونُقِّيت دماؤهم من أوضارِ الوثنية ، والتقوا على كلمة سواء هي كلمة التوحيد ، التّى اقتضاهم الله بها أن يوحّدوه في ألوهيّته وربوبيتِه وأسمائه وصفاته أولاً ، ثمَّ أنَّ يجعلوا مقاودَ قلوبهم – طاعة للهِ ولرسولِه – في الأحكامِ التي تعبَّدهم بها ثانياً ، فصاروا بهذا على منهاجٍ واحدٍ في توحيدِهم ربَّهم سبحانه ، وفي عبادتِهم إياه ، فانتفت من بين ظهرانيهم عداواتٌ استحرَّت فيهم زماناً ، وتبددت من سماء أرضهم ظلماتٌ أظلَّتهم بسوادها قروناً طوالاً ، وأدبر الشيطان عن مضاربهم بخيلائه ، وغوايته ، وسعايته ، وصارَ لهم عند الشعوب القبائل حسابٌ وأيُّ حسابٍ ، وإذا كانَ توحدُ شعب أو أمة على منهج واحدٍ باطل يجعل لهم قوّة وبأساً يرهبون به في الناسِ ، فكيف إن كانَ توحُّدٌ على منهجٍ واحدٍ ليس للباطل إليه مورد ؟!

وهٰذا البأس والقوّة ما كانَ لتكون لأمتنا يوماً من الزمان لولا ما هديتُ إليه ، وعمرت قلوبها بحبّه ، وآثرته على ما كانت فيه من شركِ الوثنية المفَرّق ، هي اليومَ أشدَّ ما تكون حاجةً إلى هٰذا المنهج الذي أصابت من فضلِه ما أصابت من قبل ، وبخاصّةٍ

وقد انتهت إلى جدارِ اليأس أن تكون أمّة تعرف الأمم أنَّ لها حقّاً في الوجود ، وبعد أن أرخت على أعقابها ذَيلَ الخسران والهوان والحرمان ، ولسوف تدعى يوماً بكتابها إليه ، ولن تدعى إلى غيرِه ، وهل بقي لها من ظنٍّ أنّها لن تجمع كلمتها على غيرِه ، أو أنْ تكونَ لها عزّةٌ بدونِه ، واللهُ سبحانه جعل لكلِّ أمةٍ شرعةً ومنهاجاً واختار للمسلمين شرعته ومنهاجه بالتوحيد الخالص ، فلماذا لا نرضى لأنفسنا اليومَ ما رضيَه لنا ربّنا ، وما استقامَ عليهِ من قبل أمرنا ، وعلا به في الأرضِ يوماً وجودنا ؟ إنّها الضيعةُ والشتات ، والعودة إلى الشركِ أو إلى بعضٍ منه ، وقد آثرنا منهاجاً غير منهاج ربّنا سبحانه !!

ثالثاً : **الإيثار** : لسنا ندّعي ادّعاءً انَّ الإيثارَ سمةٌ اختصَّ الله بها مجتمع المسلمين ، فلو كانَ ذٰلك كذٰلكَ لجهدنا ونحن نطلبُ الدليل ، أو يُطلبُ منّا ، نقيمه على هٰذه الدعوة ، يُصدقها ، وليسَ بطلبِ تصديق الدليل الشاهد بدليل غائبٍ ، والعكس صحيح ، والناس جميعاً - مُذ بعث الله رسوله إليهم بالهدى ودين الحق - شهداءُ على هٰذا الدليل ، فهم بشهاداتهم أدلة مؤكدة له ، مثبتة إياه ، مرشحةٌ لبيانِه ودلالته :

فليس يصحُّ في الأذهانِ شيءٌ ... إذا احتاجَ النهار إلى دليل

وإن كانَ للناس أن ينسوا شيئاً من مآثر مجتمع المهاجرين والأنصار ، فإنّه لا يصحُّ ، وليسَ لهم أن ينسوا السّمةَ الناصع بياضها ، وهي الإيثار التي خلَّدها الله قرآناً يُتلى إلى يومِ القيامةِ : ﴿ **والذين تبوأوا الدارَ والإيمان من قبلهم يحبونَ من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً ممّا أُوتوا ويؤثرونَ على أنفسِهم ولو كانَ بهم خصاصة ومن يُوْقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ ، فانظر كيف جعل الله الفلاح أثراً مترتباً على تلك السّمة المتّفردة !

وظلَّ المسلمون ينعمونَ بهذا الفلاح في دينهم ودنياهم ، حتّى انتقصت حروف الإيثار ، وضمرت في ذاتها (مبنى ومعنى) فأصبحت (أثرة) ، والأثرة تعني : انقباض الخير ، وأختفاءَه بين أضلع الناس ، من شحٍّ أو حسدٍ ، أو حرصٍ وطمعٍ ، أو نحو ذٰلك

من سيئات النفوس ، التى تستعصي إلّا على بارئها ، ولحكمةٍ أرادها سبحانه أن تكونَ .

والإيثار حركة إيجابية تتردد في صدور الذين آمنوا تدلُّ دلالة عمليّة على شيءٍ من معنى قوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[1] ولما كانَ حبّ الخير يملأ صدور المسلمين ، شاعَ فيهم العدل ، والرجاء ، والأمن ، وعوفيت النفوس والقلوب من آثامها ، وبرئت الأجسام من عللها وأدوائها ، واستقرت الأمّةُ على فقهٍ جليٍّ من قولِه تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ .

وأما الأَثَرَةُ ، فهي حركة سلبيّة تتردد في صدرِ الأمّة تقعد بها عن الإبداع العلميّ والخلقي ،والمادي ، وتحلُّ بها كآبة تعوقها عن استقطابِ الرؤية في مقلتها ، تستكشفُ بها المجهول ، وتعرفُ بها معالم المستقبل ، وتأخذ بمجامعِ الحاضر ، تستخرجُ منه ما يحقق لها السؤدد والرفعة والقوة .

وها هي الأمّة اليوم ترزح تحت أثقال (الفقر) وإن كانَ المالُ يجري في أيديها ، و (الخوف) وإن كانَ الأمن في أكنافها ، و(الجوع) وإن كانَ الزاد في أفواهها ، و (الصَّغار) وإن كانت العزّةُ في مآقيها ، و (العطش) وإن كانَ الماءُ في أكُفِّها ، و (الحرمان) وإن كانَ الخير فوق ظهورِها ، و (الضعف) وإن كانت القوة تحوطها .

وقد أودت الأثرة بالأمة إلى التناكر ، والتعادي ، والاقتتال ، والمغالبة بالباطل ، والطمع القاتل ، وركوب متون الفتن ، وموالاة الأعداء ، ومعاداة الأولياء ، والتفاخر بالغنى والترف ، وقبض الأيدي عن البذل والتواصل ، إلى غير ذٰلك من سيئاتِ الأثرةِ وآثارِها التي أرخت ذيولها على الأمّة بأسرِها ، ممسكة على أعناقِها بَقَبْضَتِها ، حتّى لا تقوى أو تكاد على الإفلات منها .

---

(١) متفق عليه .

إنَّ الإيثارَ علامة من علامات الإيمان ، أما الأثرة فعلامة من علامات الكفر والخسران ، وأمة تُؤْثِر الكفر والخسران على الإيمان مُؤْثِرَةٌ العذاب والهوان .

رابعاً : العلم : ليسَ من شكٍّ في أنَّ الأمةَ التي تغرق عقولها بأيديها في غيابات الجهل ، ثم تسمح بها جُبُنَها إعجاباً ، وتسلم قياد أمرِها بجهلها لهذا إلى من لا يتقي سوء العذاب ، هي أمة بائرةٌ ، ليس لها أن ترفعَ رأسها لتقول للأمم : أنا هنا .

وأمتنا ما عزّت يوماً إلّا بدينها ، ثمَّ بعلمها الذي أغرى بها الأمم والشعوب ، في منعة وقوة بأس تأخذُ منها وتشكر لها ، وفي ضعف واضمحلال شأنٍ تأْخذ منها ثمَّ تنال بالأذى منها ، فهي في حالَتي القوة والضعف معطيةٌ من ذاتِها ما تظلّ به مذكورة على الدهر .

والعلم هو السبيل الصاعد بالأمة إلى سماء المجد ، والحبل الواصلها إلى ذرى العزّة ، والظهير المانعها من التقهقر والانعطاف عن مقاصد الشرف المنصوبة أمامها على قرب أو بعد .

وغنيّ عن القولِ أنَّ كلَّ علمٍ يكسب الأمة نفعاً أو يدفعُ عنها ضرّاً مطلوبٌ لها ، ويجبُ أن تحرصَ عليه ، وأن تسابقَ غيرها في تحصيلِه لتحرزَ من قواعدِه وأُصولِه ما يجعلها أقدرَ على الإفادة منه ، فلا تكون عالةً على غيرِها تتكفَّفُ ، فتُعطى أو تُمنع ، لكن علم الدين هو الذي يجب أن يحظى بالقسط الأوفر من عناية الأمة ؛ لأنَّه العلم الذي يقيمها على صراط اللهِ الأقوم ، ويهديها إليها فتعبده على بصيرة .

وإذا علم الله من الأمة أنّها كذلك فإنّه سيفتح لها مغاليق العلوم ،ويُسهِّل لها عصيَّها ، ويقرّبُ منها بعيدها ، ويمكن لها في الأرض بما يفتح الله عليها منه .

وعلم الدين هو أشرف العلوم ، وأعلاها قدراً ، وأعودها بالخير على الأمة ؛ لأنه العلم الذي يُعرف به الله الخالق المنعم ، ويعرف به رسوله الأكرم عليه الصلاة والسلام ، ويعرف به ما يجب لله ولرسوله من حقوق على العباد .

ونرى في الأمة اليوم – مِن خاصتها وعامتها إعراضاً عن هٰذا العلم ، من ظنٍّ أوتيتَه أنّه يعوّقُ مسيرتها ، ويضعفُ قوتها ، ويُطمع فيها عدوَّها ، ورأت من واقع الأمم والشعوب الأُخرى وحالها ما جعل من الظنّ يقيناً ، أنَّ يُحَوِّلها عن مسارها الحضاري ، الذي أنشأته بعقيدتها وشريعة ربِّها ، ما يلحقها بالرَّكبِ الحضاريّ الأمميّ ، فأوفت به على بيداءٍ مرملةٍ ، لا تُصيبُ فيها إلّا اليأس ، والخيبة والهوان ، ولا تزداد به إلّا لهفة في طيّ وعيدٍ وحرمانٍ .

إنَّ الأمة بهٰذه القواعدِ تستطيع أن تتداركَ ما فاتها ، وتعود سيرتها الأُولى ، فهل نعي هٰذه الحقيقة جيداً ؟.

نصائح وتوجيهات إلى حجاج بيت الله الحرام

محمد جميل زينو

اعلم أخي الحاج -هدانا الله وإيّاك- أنَّ الحجَّ له آدابٌ يجب الأخذُ بها ، والتحلّي بفضائِلها ومن ذٰلك :

١ - حافظ على نظافة ملبسك ، وخيمتِك ، ومسكنِك ، ومأكلك ، ومشربك ، فالنظافة تساعد على حفظ الصحة واجتناب الأمراض .

٢ - احذر إلقاء الأوساخ والأطعمة الفاسدة في طريق الناسِ ، فتكون سبباً في إيذاء الحجاج ، ونشر الأمراض ، وعليك أن تميطَ الأذى عن الطريق وتضعه في مكانه .

٣ - تحمّل أذى جيرانِك ، ولا تؤذ أحداً من إخوانِك ، وادفع بالتي هي أحسن بكلام لطيف .

٤ - احذر الرفثَ والفسوقَ والمخاصمة ، والجدالَ بالباطل ، حتي يكونَ حجُّكَ مقبولاً ، واستمع إلى قولِه تعالى : ﴿ فمن فَرَضَ فيهنَّ الحجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جدالَ في الحجّ ﴾ وقال رسول اللهِ ﷺ : « من حجَّ فلم يرفث ولم يفسُق رجعَ كيوم ولدته أمّه »[١] .

(١) متفق عليه .

٥ – كن سمحاً في بيعك ، وشرائك ، وحسِّن أخلاقك ، ولا تواجه أحداً بما يكره .

٦ – احذر شربَ الدخان ، وسوء الأخلاق ، والشتم ، فسباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر .

٧ – لا تُضَيِّع أوقاتك في الأسواق ، والبيع والشراء ، والقيل والقال .

٨ – تلطّف بمن حولكَ أثناء الطواف ، وتقبيل الحجر ، والسعي ، والرمي ، وغير ذلك ، فهو من الرفق المطلوب ، قال الرسول ﷺ : « مَن يُحرم الرِّفقَ يحرم الخيرَ كلّه »[1] .

٩ – لا ترفع صوتك بالدعاء عند الطواف ، ففيه تشويش على الطائفين .

١٠ – لا تزاحم الناس ، ولا سيما عند تقبيل الحجر ، وتكفي الإشارة إليه عند الزحام ، وأمّا الرمي فلا يجوز استعمال الحصاة الكبيرة لورودِ النهي عنها ، ولأنها تؤذي الواقفين ، واحذر الرمي بالنعال – كما يفعل الجهال – فهو من المنكرات ، واحذر لمس شباك قبر الرسول ﷺ ، ولمس جدران الكعبة ، والمسموح به هو لمس الحجر الأسود وتقبيلُه ، ولَمْس الركن اليماني فقط .

١١ – عليك بحلق الشعر كلّه أو تقصيره عند التحلل ، واحذر حلق اللحية ؛ فهو حرام باتفاق العُلماء ، والله تعالى يقول : ﴿ **محلِّقين رؤوسكم ومُقَصِّرين** ﴾ والرسول ﷺ يقول : « جزّوا الشواربَ واعفوا اللحى خالفوا المجوس »[2] .

١٢ – احذروا دعاء غير اللهِ من الأمواتِ أو الغائبين ، فهو من الشرك الذي نهى اللهُ عنه بقوله : ﴿ **ولا تدعُ من دونِ اللهِ ما لا ينفعُكَ ولا يضرُّك فإن فعلتَ فإنَّكَ إذاً من الظالمين** ﴾ .

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه مسلم.

والظالمونَ في هذه الآية هم المشركون ، وإذا وقع المسلم في الشرك بطل عمله وحجّه ، كما قال الله تعالى : ﴿ لئن أشركتَ ليحبطنَّ عملُك ولتكوننَّ من الخاسرين ﴾ .

١٣ – احذر الرياء : وهو العمل الذي يرادُ به السمعة ، فيحجّ ليقول عنه الناس : الحاج فلان ، علماً بأنَّ كلمة (الحاج) لم يعرفها السلف الصالح ، فلم نسمع عن واحد منهم قال عن أخيه : (الحاج فلان) ، وهي من بدع المتأخرين ، فأَخلص في حجِّكَ ، وقل كما قال الرسول ﷺ : « اللهمّ حجّة لا رياء فيها ولا سمعة » .

١٤ – أكثر من قراءة القرآن والعمل به ، والطواف ، والصلاة على النبيِّ ﷺ وأكثر من الدعاء ، ولا سيما في الليل ،فقد قال الرسول ﷺ :

« مَنْ تعارَّ من الليل فقال حين يستيقظ : لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير ، سبحان الله والحمد للهِ ولا إله إلّا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوّة إلّا باللهِ ، ثمَّ قال : اللهمَّ اغفر لي ، أو دعا استُجيبَ له ، فإن توضأ وصلَّى قُبلَت صلاته »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري .

زاد الحاج

رياض الحقيل

هذه بعض الوصايا التي يجدرُ بنا أن نتدبرها .. ونعملَ بها إذا أردنا أن نستفيدَ من الحجِّ .. ونخرجَ منه كيوم ولدتنا أمهاتنا .

أوّلاً : الإخلاص : وهو مطلب عظيم وشرط أساسٌ لصحة وقبول العمل ؛ ﴿ وما أُمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدينَ ﴾ ، وقال ﷺ : « إنَّما الأعمالُ بالنيّاتِ وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى »[1] ، فليست العبرة بالتعبِ والنصبِ ، فقد أخبر الله تعالى عن عذابِ أقوامٍ عاملين لم يحققوا الإخلاصَ والمتابعة : ﴿ وجوه يومئذٍ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية ﴾ .

فاحرص على إخلاصِ العملِ للّهِ وحدَه .. ولا تشرك معه أحداً ، فتدعو غيرَه ، أو ترجوه ، أو تطوف حول قبر أو غيره ، ولا تطلب رضى أحدٍ ، وإنَّما راقبِ اللهَ وحدَه .. وليكن رضاه همَّكَ وغايتَك ، قال ﷺ : « إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلّا ما كانَ له خالصاً وابتُغي به وجهه »[2] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) « صحيح سنن النسائي » (٢٩٤٣) .

وتذكّر هٰذه القاعدة السلفيّة النّاصحة لتسلم من الشركِ والرياء : « العمل من أجلِ الناس شرك ، وترك العمل من أجل الناسِ رياء : والإخلاص أن يعافيكَ اللهُ منهما » .

ثانياً : المتابعة : وهٰذا هو الشرطُ الثاني لقبولِ العملِ وصحتِه ، قال ﷺ : « من أحدثَ في أمرنا هٰذا ما ليسَ منه فهو ردّ »[1]، وهو معنى شهادة أن محمداً رسول اللهِ ؛ أي : أن لا تعبدَ الله إلّا بما شرعَ .. فلا بدَّ من اتباعِ هدى الرسول ﷺ في سفرِكَ ، وإحرامِك ، ومناسِك حجِّكَ ، وسائرِ أعمالِك ؛ لتبرهنَ صدقَ محبتِكَ للّهِ : ﴿ **قُل إن كُنتم تحبّونَ اللهَ فاتبعوني يُحببكم اللهُ ويغفر لكم ذنوبَكم** ﴾ ، وقد أمرنا المصطفى ﷺ بأن نأخذَ هدي المناسك منه وحده : « لتأخذوا عني مناسككم »[2] .

وطريق المتابعة هو العلم الشرعي ، فلا يمكنُكَ معرفة هدى النبيّ ومتابعتك له إلّا بالعلمِ الشرعي الصحيح ، فلا بدَّ من تعلّمِ أحكامِ الحجّ من العلماء الربانيين الذين عُرفوا باتباعِ الدليل .

العلمُ قال اللـه قال رسـولُه قال الصحابة هم أولو العـرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسـول وبين قـولِ فـلان

فعليكَ بدراسة وتعلُّم أحكام الحجّ قبل أن تحجَّ ، فالعلمُ قبل القول والعمل ، قال تعالى : ﴿ **فاعلم أنّه لا إلٰه إلا الله واستغفر لذنبك** ﴾ ، والعلم يعصمُكَ - بإذن الله - من الوقوع في الزلل ، والخطأ ، والبدع .

ثالثاً : التوبة الصادقة : فتب إلى اللهِ ، وتطهَّر من جميع الذنوبِ والآثامِ ، بالإقلاعِ عنها ، والعزم على عدمِ العودةِ إليها .

واحذر أن تكونَ ممن يروغُ كروغانِ الثعالبِ ، ومن عُبّادِ المواسم ، والأماكن الفاضلة ، وهو ينوي الرجوع إلى المعاصي بعدها ، بل اعزم واجزم على تركِ المعاصي ،

(١) متفق عليه .
(٢) أخرجه مسلم .

وسل ربَّكَ الثباتَ والاستقامة على الدين ، وتأمّل قول الله تعالى : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا توبوا إلى اللهِ توبة نصوحاً** ﴾ ، ولا تقنط من رحمةِ ربِّكَ ، واعلم بأنَّ بابَ التوبة مفتوح لكَ ولغيرِكَ مهما عملت ، ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسِهم لا تقنطوا من رحمة اللهِ إنَّ اللهَ يغفر الذنوبَ جميعاً إنّه هو الغفور الرحيم** ﴾ .

رابعاً : التحلل من الحقوق ، ورد المظالم والديون إلى أهلِها ، وطلب السماح منهم :

قال ﷺ : « مَنْ كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مالٍ فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذَ منه يومَ لا دينار ولا درهم ، فإن كانَ له عمل صالح أُخذَ منه بقدرِ مظلمتِه ، وإن لم يكن له عمل أخذ من سيّئاتِ صاحبِه فحُملت عليه » [١] ؛ فإن كانَ لأحدٍ حقّ أو دين عندَكَ فرُدّه إليه ، أو اطلب منه السماح إن كانَ الدَّين قد حلَّ أجلُه ، وإن كنتَ قد ظلمتَ أحداً فرُدَّ إليه مظلمتَه واطلبه السماح .

وليكن نصب عينيكَ حديث المصطفى ﷺ : « أتدرونَ مَن المفلس ؟ » . قالوا المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاع ، فقال : « المفلس من أمتي من يأتي يومَ القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتمَ هٰذا ، وقذفَ هٰذا ، وأكلَ مالَ هٰذا ، وسفكَ دمَ هٰذا ، وضربَ هٰذا ، فيُعطى هذا من حسناتِه ، وهٰذا من حسناتِه ، فإنْ فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذَ من خطاياهم فطرحت عليه ثمَّ طرحَ في النارِ » [٢] .

خامساً : اطلب النفقة والزادَ الطيب الحلال : فإياكَ ثمَّ إياكَ أن تحجَّ بمالٍ حرامٍ من ربا ، أو رشوة ، أو يمين غموس كاذبة ، أو غش ، أو بيع محرم ، كدخان

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه مسلم .

ومجلات ماجنة ، ونحو ذٰلك : « فإنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلّا طيباً » [١] .

وكيف يليقُ بك أن تحجَّ بهذا المالِ ؟! فتدعو في الطوافِ والسعي وغيرِه ، ثمَّ تقفُ بعرفة بين يدي ربِّكَ رافعاً يديك تسأله وتدعوه وترجوه ، ومطعمك ومشربُك وزادُك وراحلتك من حرام ، فأنى يستجاب لك ؟!

سادساً : الوصية : فلا تخرج من بيتِكَ إلا وقد كتبتَ وصيتَك ، وهٰذا مطلوبٌ منكَ ، فاكتب وصيتَكَ على وَفقِ السنّة ، فأوص أهلَكَ بالتقوى والاستقامة ، وألّا يبتدعوا بعدَ موتِكَ سواء في كفنِكَ ، ودفنِكَ ، وقبرِكَ ، أو النياحة ونحوها ، أو في سائر أمورِ حياتِهم ، وتكتب فيها الذي لك والذي عليك من الديونِ والحقوق ، وتطلب من أهلِكَ قضاءها وسدادها وأن يطلبوا السماحَ ممن له حقٌّ عليك ، قال ﷺ : « ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيتُ ليلتين إلّا ووصيته مكتوبة عنده » [٢] .

سابعاً : الرفقة الصالحة : واحرص على رفقة صالحة - تذكّرك باللهِ إذا نسيت ، وتعينك على ذٰلك إذا ذكرت - من أهل العلم والطاعة والتقوى ، تتعاون أنت وإياهم في عمل الصالحات ، وتطبيق هدى المصطفى ﷺ في السفر ، والمناسك ، وبقية الأعمال الصالحة .

واحذر رفقة السوء التي تضيع عليك أعمالك ، أو تَنقصُ أجرَكَ باللهوِ المحرَّمِ ، والقيل والقال ، وصدق الشاعر حين قال :

أنت بالنـاس تقـاس ... بالـذي اخترت خليـلاً
فاصـحب الأخيـار تَعْلُ ... وتنل ذكـراً جـميـلاً
صحبـة الخامـل تكسو ... مـن يواخيـه خمـولاً

---

(١) أخرجه مسلم

(٢) متفق عليه .

وخيرٌ منه قول المصطفى ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » [١] .

ولا تنسَ القيامَ بحقوق الأُخوةِ ، من التعاون ، والتعاطفِ ، والرحمة ، والذلة بين المؤمنين ، والتواضع ، والإيثار ، وخدمة إخوانِكَ والتسابق في ذٰلك ، والتنافس على الخير ، ونصح الجاهل وتعليمه ، وأمر المخطئ بالمعروف ونهيه عن المنكر بالحكمة والأسلوبِ الحسن ، وغير ذٰلك من حقوق الأُخوة وآدابها التي تديم المودة وتصلها ، وتقطعُ الطريقَ على الشيطانِ وجنودِه أن ينزغوا بينكم : ﴿ **وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنَّ الشيطانَ ينزغُ بينهم** ﴾ .

ثامناً : تدبر أسرار الحجّ ومنافعه الدنيوية والأخروية : استشعرْ معاني الأعمالِ الصالحة التي تقومُ بها ، وتدبر أسرار المناسك ، ولتكن بمثابةِ المحطاتِ الإيمانيّة التي تتزوّدُ منها لآخرتِكَ ودنياك كما قال تعالى : ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾ في الدنيا والآخرة .

- فليذكّرك السفر بسفرك إلى الدار الآخرة ، وهل أعددت لها الزادَ والعمل والإخلاصَ ؟

- وليذكّرك الإحرام والاغتسال قبله بالكفن والموت الذي كلنا إليه صائر .

كلُّ ابن انثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

وكفى بالموت والقبر واعظاً ومذكراً بالآخرة ، وتدبر ماذا بعد الموت !

فلو أنّا إذا متنا تُركنا لكانَ الموتُ راحة كلِّ حيٍّ

ولكنّا إذا متنا بُعثنا ونُسألُ بعده عن كلِّ شيء

- وليذكّرك أيضاً يوم عرفة - في شدة حرّه ، وعطشه ، واجتماع الناس فيه بلباس واحد - بذٰلك اليوم العظيم الذي تقفُ فيه بين يدي ربِ العالمين ، والذي تدنو

(١) أخرجه الترمذي ، وحسنه الألباني حفظه الله .

فيه الشمسُ من الخلائقِ ، فمن الناسِ من يصل عرقه إلى ركبتيه .. إلى حقويه .. إلى ترقوته .. ومنهم من يلجمه - يغطّيه - العرق إلجاماً على قدرِ الذنوبِ والمعاصي .

تدبّر مناسكَ الحجّ وخذ منها العبرة والعظة والزادَ لآخرتِكَ ، وتعلَّم منها دروساً كثيرة من التآخي ، والتآلفِ ، والوحدة الحقيقية التي لا بدَّ أن تكونَ على منهجِ اللهِ ورسولِه وطريقة السلفِ الصالح ، وتعلّم التساوي بين المسلمين جميعاً على جميع مستوياتِهم وطبقاتهم كلّهم يقفونَ بلباس واحد وفي مكان ووقت واحد ، وغير ذٰلك من الفوائد .

نسألُ اللهَ بأسمائه الحسنى وصفاتِه العلى أن يجعلَ حجّنا مبروراً ، وسعينا مشكوراً ، وذنبنا مغفوراً ، وأن يعيننا على العملِ بما فيه هٰذه الوصايا من حق وصواب .

بحمى الله عُذْتُ من سوء كَسْبي
فهو منه إذ تَخَوَّفْتُ حَسْبي
وإلى الله من ذنوبي التجائي
فهو مَنْجى منها ومن كلِّ كرب

الشيخ عبدالله بن جار الله الجار الله رحمهُ الله تعالى

عبدالله بن حسن الصميعي

ما الفَخْرُ إلّا لأَهلِ العلمِ إنَّهمُ ... على الهُدى لِمَن استهدى أَدلَّاءُ
وقَدْرُ كُلِّ امرئٍ ما كان يُحْسِنُه ... والجاهلون لأَهلِ العلمِ أَعداءُ
فَفُزْ بعلمٍ تَعِشْ حيّاً به أَبداً ... النَّاسُ موتى وأَهلُ العلمِ أحياء

... يقولُ اللَّهُ تبارك وتعالى في وَصْفِ عبادِه المؤمنين : ﴿ الَّذينَ إِذَا أَصابتْهُم مُصيبةٌ قالوا إنَّا للَّه وإِنَّا إِليهِ راجعون .. ﴾ ، ولقد سمّى اللَّهُ سبحانه الموتَ مصيبةً فقال : ﴿ إنْ أَنْتُم ضَرَبتم في الأَرض فأَصَابَتْكم مصيبةُ الموتِ ﴾ .

وأَعظمُ المصائب موتُ أَهلِ الخير ، وأَهل الفضل ، وأَهل العلمِ .. فنقولُ بقلوبٍ مُطمئنَّةٍ بالرضا بقضاءِ اللَّهِ وقَدَره : إنَّا للَّه وإِنَّا إِليه راجعون .

.. لقد فقدتِ الأُمَّةُ الإِسلاميَّةُ عالماً من عُلمائها ، وداعيةً من دعاتها الصابرين ، الناصحين للَّهِ ولرسولِه ولجميع المسلمين ، ورجلاً من رجالها الباذلين الغالي والثمين ، والمُنْفِقين في سبيلِ ربِّ العالمين ، ومِن الذَّاكرين المُستغفرين في كُلِّ وقتٍ وحين – ولا أُزَكِّيهِ على اللَّه سبحانه – أَلا وهو الشيخ عبداللَّه بن جاراللَّه بن إِبراهيم الجاراللَّه .

وحتَّى يكون الإِخوةُ القرَّاءُ على معرفةٍ جيّدةٍ بهذا الدَّاعيةِ الفاضلِ أذكر نُبذةً من

سيرَتِه وحياتِه :

○ يرجعُ نسبُ الشيخ عبدالله إلى قبيلة النواصر مِن بني تَميم .

○ ولد في مدينة المذنب من مدن القصيم سنةَ أَربعٍ وخمسين بعد الثلاث مئة والأَلف للهجرة .

○ كانت بدايةُ دراسته في الكتاتيب ، على يد الشيخ عبدالرحمٰن بن صالح المُطْلق رحمه اللَّه تعالى ، مبتدئاً بالقرآن الكريم .

ولقد أَتمّ حفظَ كتاب اللَّه سبحانه على يد والدِهِ الشيخ جار اللّه بن إبراهيم الجاراللَّه رحمه اللّه تعالى .

○ ثم انتقل إلى الرياض ، وطلب العلم على يد عددٍ من العلماء والمشايخ ، منهم سماحة العلاَّمة محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه اللّه في مسجده في مدينة الرِّياض .

○ وفي سنة خمس وسبعين بعد الثلاث مئة والأَلف ، افْتُتِحَ في الرياض معهد إمام الدعوة العلمي ، فالتحق به مُتابعاً دراسته على عددٍ من المشايخ والعُلماءِ ، كمثل الشيخ محمد بن عبَّاد ، والشيخ إسماعيل الأَنصاري ، والشيخ حمَّاد الأَنصاري ، والشيخ سعد الفالح ، والشيخ عبداللَّه بن حسن القعود ، وغيرهم .

○ ثمَّ التحق بكليَّة العلوم الشرعيَّة ، وتخرَّج منها عام (١٣٨٣ - ١٣٨٤) .

○ ثمَّ درس في المعهد العالي للقضاء ، ونال فيه درجة الماجستير في الفقه المقارن عام (١٣٩٩ هـ) .

○ ولقد كان الشيخ رحمه اللَّه تعالى نشيطاً جدَّاً في الدعوة إلى اللَّه سبحانه ، ممّا جعل له كبيرَ الأَثر على المجتمع ، وذلك منذ سنوات بعيدة :

فعندما كان مدرِّساً في مدرسة حطين عام (١٣٨٦ هـ) كان يجمع الطلاَّب بعد انتهاء الوقت الرسميّ للدراسة ، ويطلب من كلِّ واحدٍ منهم أَنْ يأتي بآيةٍ ، أَو

حديثٍ ، أَو فائدة علمية ، فيتدارس معهم ذلكُ مدارسة علميَّة تُفيدهم جميعاً ، وينتفعون بها .

ولقد كان من ثمرات ذلك أَنْ خَرَجَ من هؤلاء الطُلَّاب عددٌ من طلبة العلم الأَقوياء ، والدّعاة الملتزمين الأَوفياء .

○ ومِن النشاطات الدَّعويَّة والعلميَّة للشيخ رحمه اللَّه كتابتهُ رسائلَ إِلى رؤساء تحرير عدد من الصحف ، وكذلك إِلى بعض النّوادي الرياضيَّة ، يُناصحُهم ، ويذكّرهم ، ويأْمرهم وينهاهم .

ومِن ذلك أَنَّه كان يصوّر مئات النُّسَخ من بعض الأَوراق التي يكتبها من أَذكار الصَّباح والمساء ، أَو كيفيَّة الصَّلاة ، أَو غير ذٰلك من فوائدَ علميّةٍ ، ثمَّ يقوم بتوزيعها على إِخوانِه المسلمين في المساجد ، أَو المدارس ، أَو التجمّعات العامّة .

○ ولقد عُيِّن الشيخ بعد التخرُّج من كليّة الشريعة مدرّساً في المرحلة المتوسطة في مدينة حائل عام (١٣٨٤ هـ) ، ثمَّ نُقل إِلى مدينة بريدة ليعمل مدرّساً في المرحلة نفسها عام (١٣٨٥ هـ) ، ومثل ذلك في الرياض سنة (١٣٨٦ هـ) ، وفي عام (١٤٠٣ هـ) انتقل للعمل مدرّساً في المرحلة الثانوية في مدرسة موسى بن نُصَير ، حتّى أُحيل للتقاعد عام (١٤١٣ هـ) بسبب الضَّعف الصحّي .

ولم يمنعه عملُه التدريسيّ من مُزاولة الدعوةِ ، والقيام بالمُناصحة والتذكير في كُلِّ فرصة تُتاح ، وفي أَيِّ مناسبة تسنح .

ولقد عُيِّن رحمه اللَّه خطيباً رسميًّاً في يوم الجمعة في بعض مساجد الرياض منذ عام (١٤٠١هـ) إِلى وفاته رحمه اللَّه وغفر له .

○ يقول الشيخ رحمه اللَّه عن ذلك في كتابه القيِّم : « رسالة إِلى أَئمَّة المساجد والمؤذنين والمأْمومين » : « وفي عام ١٤٠٢ هـ تعاونتُ مع رئاسة هيئة الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر على أَن أَكتب بعض البحوث بالإِضافة إِلى زيارة مراكز الهيئة

بالرياض ، وإرشادهم إلى الطريقة المثلى في الأَمر والنَّهي ، فكتبت ما تيسر من البحوث في مواضيع متنوعة بفضل من اللَّه ومعونة ، وله الحمد والشكر والثناء ، فصارت هذه البحوث نواةً وأَساساً لمؤلفاتي التي يسّر اللَّه لي جمعها واختصارها وتحقيقها طبعها وتوزيعها ، والتي اشتملت على مواضيع مختلفة فيما يتعلق بالعقيدة وأَصول الإِيمان وأَركان الإِسلام وفي معالجة واقع المجتمع المسلم » .

○ ولقد كان للشيخ رحمه اللَّه جهدٌ كبير ، وعملٌ وفير في نَشْر العلم ، وتصنيف الرَّسائل العلميَّة المفيدة ، فكتب أَكثر مِن مئة وعشرين كتاباً ، بين صغيرٍ وكبيرٍ ، وطُبعت جميعها ، وبعضُها طبع مرّات متعدّدة ، بل طُبع من كتابه : « زاد المسلم اليومي » ما يزيد على المليوني نسخة .

وكان - رحمه اللّه - يطبع بعضاً من هذه الكتب على نفقتهِ الخاصَّة ، ويكتب عليها : « طُبع على نفقة أَحد المحسنين، غفر اللَّه لهم ولوالديهم ، ولجميع المسلمين » .

○ مِن مؤلَّفاته المطبوعة :

١ - « بهجة النَّاظرين فيما يُصلح الدنيا والدين » .

٢ - « كلمات مُختارة » .

٣ - « الجامع الفريد للأَسئلة والأَجوبة على كتاب التَّوحيد » .

٤ - « مِن أَحكام الفقه الإِسلامي ، وما جاء في المعاملات الرِّبويَّة » .

٥ - « مسؤولية المرأَة المسلمة » .

٦ - « مصارف الزَّكاة » .

٧ - « مواضيع تهمّ الشباب » .

٨ - « الأُخوّة الإِسلامية وآثارها » .

٩ - « الزواج وفوائدهُ ، غلاء المُهور وأَضراره » .

١٠ - « خطر الجريمة الخُلقيّة » .

وغير ذلك أكثرُ من مئة رسالةٍ وكتابٍ ، تنوَّعت مواضيعُها ، واختلفت مباحثُها ، وتعدَّدت مسائلُها ، ولولا الإطالةُ لسردتُها جميعاً بأسمائها .

○ كان رحمه اللَّه يُعاني من مرض السُّكري منذ عام ١٣٨٣ هـ ، ثمَّ أُصيب بمرض القلب ، وأُجريت له عمليَّة جراحيَّة عام ١٤٠٥ هـ وكلّلت بالنَّجاح .

وكان رحمه اللَّه يتعاطى كثيراً من الأدوية والعلاج ، وقد طلب منه الأطباء لزوم الراحة ، ولكنَّه كان يحبّ أن يتحرّك ، وأن يكتب ، وأن يعمل في سبيل اللَّه ، فكانت حياته كلها دعوةً وجهاداً - رغم معاناته من المرض - إلى لحظاتِهِ الأخيرة .

يقول الشيخ الفاضل محمَد ابن الشيخ عبداللَّه الجارالله : « في ضحىٰ يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر رمضان عام ١٤١٤ هـ ، توفي الوالد في مدينة مكَّة المكرمة ، وصُلي عليه في الحرم المكّي الشريف ليلة الاثنين الموافق ٢٥ من رمضان عام ١٤١٤ هـ ، ثمَّ نُقل إلى مدينة الرِّياض حيث مقر إقامته ودُفن بمقبرة العود ، رحمه اللَّه رحمةً واسعةً وأدخله فسيح جنَّاته مع النَّبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيعاً » .

○ أقولُ : تُوفي الشيخ رحمه اللَّه ، وقد خلَّف وراءَه - بحمد اللَّه ومنَّته - كلَّ خير : كثيراً من أعمال البرّ والتَّقوى ، وأولاداً صالحين ؛ ولدين ؛ وهما : محمَّد وأحمد ، وأربع بنات .

فعسى أن ينالَه من ذلك ما ينفعه في قبره ، أو يشفع له في آخرته ، إنَّ اللَّه لا يُضيع أجر المحسنين ، فرحمه اللَّه رحمةً واسعةً ، وألحقنا به على خير .

الدكتور البوطي من خلال كتبه !!!

أبو عبد الله الشامي

سوف أَعرض في هذه الصَّفحات تعقُّبات مختصرة على كتاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : « كبرىٰ اليقينيات الكونيَّة » ، ومن ثمَّ فكره وعقيدته عبر كتبه التالية : « كبرى اليقينيَّات » ، « الفكر الإِسلامي المعاصر » ، « منهج العودة إِلى الإِسلام » ، رسالة « باطن الإثم » .

● « كبرى اليقينيَّات الكونيَّة » (ط ٨ دار الفكر) .

١ - المقدمة : في (ص ٢٦) « وقد التزمت الأُمور التالية في كتابة هذه البحوث : أَوَّلاً : الابتعاد عن الخوض في حقيقة الصِّفات الإِلهيَّة وتحليلها ، وهل هي عين الذات أم غيرها ؟ وما يترتب على كلٍّ منهما مكتفياً باتباع مذهب جمهور المسلمين في ذلك ، إِذ يسع المسلم العاقل الَّا يفكر في ذلك أَصلاً وألا يلتزم إِلَّا ما نسبه اللَّه تعالى إِلى نفسه من صفات الكمال ، على أنه لا توجد أي شبهة في الإيمان باللّه يتوقف ردها على الخوض في هذا البحث الذي لا طائل فيه » .

التعقيب : كلام مُجْمَلٌ صحيح وجميل ، ولكن ليته التزم به ؛ فلقد نقضه في بحثه اللاحق تحت عنوان : ما يترتب على هذه الصِّفات ، وما بعده ، فقد

خالف جمهور المسلمين من السَّلف أَوَّلاً ، ومن تبعهم من الخلف ، وسلك مسلك المؤولة والمعطِّلة .

٢ - التمهيد : ذكر في (ص ٣٥ - ٣٦) : أَن الخبر الصحيح الظنّي (أَحاديث الآحاد) لا يعتدُّ به الحكم الإِسلامي في بناء العقيدة .

التعقيب : إِنَّ تقسيم الخبر إِلى آحاد (ظنِّي) ومتواتر (قطعي) هو اصطلاحٌ جديدٌ لم يكن في عصر الصَّحابة رضوان اللَّه عليهم ، والاعتقاد بأَنَّ خبر الآحاد الصحيح لا يفيد اليقين هو بحدِّ ذاته أَمر عقيدي يحتاج لخبر متواتر بناء على اصطلاحهم !

وقد خالف بذلك علماء السَّلف ، وفحول الأُمّة نحو الإِمام الشافعي في كتابه « الرسالة » ؛ فقد قرر أَنَّه لا فرق بين الآحاد الصحيح والمتواتر في حجيَّته ، وكلاهما يستدلّ به في مسائل الاعتقاد ، وكذلك أَبي الحسن الأَشعري في كتابه « الإِبانة » ، وغيرهم ، ورفضه لخبر الآحاد في العقيدة يهدم أَكثر من ثلثي العقيدة الإِسلاميَّة ، نحو

أ - شفاعة الرسول ﷺ لأَهل الكبائر من أُمته .
ب - الإِيمان بمجموع أَشراط السَّاعة ، كخروج المهدي ...
جـ - معراج النَّبي ﷺ إِلى السَّماء .
د - سؤال منكر ونكير في القبر .
هـ - الإِيمان بالقلم الذي كتب كل شيء .

٣ - ذكر تحت عنوان (جوهر الخلاف بين المعتزلة وأَهل السنَّة والجماعة) في الصفحة [١٢٥ - ١٢٧] (فيما معناه) : أَنَّ صفة الكلام يقصد بها المعنى الذي يريد اللَّه توصيله إِلى أَحد ؛ فهذه صفة قائمة بذاته ، أَمَّا الأَلفاظ التي تعبر عن المعنى

المراد فهي حادثة مخلوقة ، وليس هي المقصود بها من صفة الكلام ، والمعتزلة أَيضاً قالوا بذلك ، واتفقوا مع جمهور المسلمين بأَنَّ الأَلفاظ هي محدثة ومخلوقة ، واللّه عزَّ وجلَّ منزه عن القول والتَّكلّم بالأَلفاظ ، وافترقوا في المسمَّى إذ قالوا : أَنَّ ما أَثبتناه للَّه من صفة الكلام الذي لا ألفاظ له هو في الحقيقة يرجع إِلى صفتي العلم والإِرادة ، فإِنْ كان إِخباراً اسمه العِلْم ، وإِنْ كان أَمراً ونهياً فهو الإِرادة .

ثمَّ ذكر في (ص : ١٢٩) : « وأَمَّا علاقة الخلاف الذي بين المعتزلة والآخرين بهذه المسأَلة وقد علمت أَنَّهم جميعاً متفقون على أن أَلفاظ القرآن حادثة ، وأَنَّ معانيه قديمة ، وأَنَّ خلافهم محصور فقط في تسمية المعنى القديم ، هل يسمَّى صفة الكلام ، أَم صفة العلم والإِرادة ؟! »

وقال في (ص : ١٢٦) : « وأَمَّا الكلام الذي هو اللفظ فاتفقوا على أَنَّه مخلوق ، وعلى أَنَّه غير قائم بذاته سبحانه ، باستثناء أَحمد بن حنبل وبعض أَتباعه ؛ فقد ذهبوا إِلى أَنَّ هذه الحروف والأَصوات أَيضاً قديمة بذاتها وأَنَّها هي المعني بصفة الكلام » .

التعقيب : الأُستاذ البوطي يقرر أَنَّ الخلاف بين أَهل السنَّة والمعتزلة خلاف لفظي وحسب ، بينما المضمون مُتَّفَقٌ عليه ، واستثنى الإِمام أَحمد بن حنبل ، واتهمه بمخالفته لأَهل السنَّة والشذوذ عنهم واستحداث قول جديد ، فهذا عجيب وغريب - بل لا وللَّه ليس بغريب على أَهل البدع - الطعن في إِمام أَهل السنَّة وفي أَهل السنَّة ، وبيان ذلك أَنَّ البوطي :

١ - جعل إِمام أَهل السنَّة مخالفاً لأَهل السنَّة[1] ونسب عقيدته إِلى الشذوذ .

(١) من المعروف أَنَّ أَهل السنَّة عندما تطلق تشمل عقيدةَ الإِمام أَحمد بن حنبل ، بل هو إِمام أَهل السُّنَّة .

٢ - نسب عقيدة المعتزلة في نفي الكلام عن اللّه إلى أَهل السنَّة ، وقدّمها إلى القارئ على أَنَّها عقيدة أَهل السنَّة ، وأَهل السنَّة بريئون مما نسبه إليهم وإلى إمامهم .

والصحيح الذي عليه المآل - وهو عقيدة أَهل السنَّة وإمامهم أَحمد بن حنبل - أَنَّ القرآن كلام اللّه تكلم به بصوت وحرف ، وسمعه جبريل ، وأَوصله إلى محمَّد ﷺ .

وصفة الكلام صفة قائمة بذاته تعالى ، فهي في هذا الوجه صفة ذاتيَّة ، أَمَّا الوجه الآخر فإنَّه سبحانه يبتدئ الكلام متى شاء وبما شاء وكيف شاء فبذلك تكون صفة الكلام صفة فعليَّة للّه سبحانه متعلِّقة بمشيئته .

إنَّ البوطي مؤمن بصفتي السَّمع والبصر للّه مع أَنَّ السمع والبصر مشترك أَيضاً بهما الخلق ، فهم يسمعون ويبصرون ضمن السنن التي وضعها اللّه لذلك ، فقالوا : إنَّ اللّه ليس كمثله شيء . ولم يكن له كفواً أَحد . والقادر على كل شيء ولا يعجزه شيء ، فهو يرى ويبصر من غير احتياج للضوء وآلية العين البشريَّة ، وكذلك السَّمع فهو يسمع من غير احتياج للهواء وآلية الأُذن ، وقدروا أَنَّ كل صفةٍ تتبع الموصوف ؛ فصفة السَّمع أَو البصر إذا أَضفتهما للّه تعلق فهمهما على فهم ذات اللّه ، وذات اللّه لا يمكن أَنْ نعرفها ، فمن باب أَولى أَن نجهل كيفية صفاتها ، أَمَّا إذا أُضيفت للإنسان فيمكن تصوّرها والعلم بكيفيتها لمعرفة الذات مسبقاً لدينا ، والقاعدة هي : أَنَّ الصفات معرفتها تبعاً لمعرفة الذَّات .

فلا أَدري لماذا لم يطبقوا ذلك على جميع الصّفات وبخاصة صفة الكلام ، وعلو اللّه على خلقه وبينونته عنهم ، وصفه اليد ، والعين ، والقدم ، والوجه ، والمجيء والاستواء .. إلى آخر الصِّفات الثابته في الكتاب والسنَّة الصحيحة !

٤ - قال الأستاذ البوطي في فصل تنزيه اللّه تعالى (ص : ١٣٦ - ١٣٧) :

« ولا يصح عليه شيء في لوازمها كأَنْ يشار إِليه بها هنا أَو هناك أَو تنسب إِليه الحركة والانتقال » .

التعقيب : ماذا نفعل بحديث الجارية عندما سأَلها رسول اللَّه ﷺ : « أَين اللَّه ؟ » فقالت : في السَّماء ، فقال : « أَعتقها فإِنها مؤمنة »[1] ، وهذا صريح أَيضاً في إِثباتِ علوِّ اللهِ سبحانه على خلقه ، بل أَشار رسول اللَّه ﷺ في حجَّة الوداع عندما كان يخطب وفي آخر خطبته رفع أَصبعه إِلى السَّماء وقال : « اللهم فاشهد » وينزلها على النَّاس وكرَّر ذلك .

فهل يقول البوطي : أَنَّ رسول اللَّه ﷺ لم يعرف ما يصح وما لا يصح في صفات اللَّه ! أَم أَنَّ رسول اللَّه ﷺ يفعل الخطأَ ، ويجهل تلك الأُمور ، ويقر عليها الجارية والصّحابة ؟ أَلم يبلِّغ رسول اللَّه ﷺ الأَمانة وينصح الأُمَّة ؟! ... بلى ... سبحانك يا رب ... ﴿ **اليوم أَكملت لكم دينكم وأَتممتُ عليكم نعمَتي ورضيت لكم الإِسلام دينا** ﴾ .

أَمَّا قوله : أَو تنسب إِليه الحركة والانتقال ... فقل لي بربِّك : أَي صفة هي الكمال ، الذي يَفعلُ ما يشاءُ ويأْتي ويجيء أَم العاجز ؟

قال تعالى : ﴿ **وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **هل ينظرون إِلَّا أَنْ تأتيهم الملائكة أَو يأتي ربُّك** ﴾ .

وتخبُّط البوطي هو نتيجة تشبيهِهِ اللَّهَ سبحانه وصفاته بخلقه وصفاتهم ، فوقع في التعطيل ، مع أَنَّ الفرق بين الصِّفات كالفرق بين الذوات ، فالاتفاق في الأَسماء لا يدل على التشابه في الصِّفات والذوات .

٥ - قال في صفحة (١٣٨) تحت عنوان : ما انفرد به السَّلف : « فمذهب السَّلف هو عدم الخوض في أَي تأْويل أَو تفسير تفصيلي لهذه النّصوص » إِلى أَن قال : « وسبيل ذلك التأويل الإِجمالي لهذه النّصوص وتحويل العلم التَّفصيلي بالمقصود

(١) أخرجه مسلم .

منها إلى علم اللَّه عزَّ وجل » .

التعقيب : سبق أَن نسب عقيدة المعتزلة في كلام اللَّه إلى أَهل السنَّة ، وهنا نسب مذهب المفوضة إلى السَّلف ؛ فهل هذا جهلٌ بمذهب السَّلف ومذهب المفوضة أَم أَنَّه داءٌ آخر غير الجهل ؟!

إِنَّ مذهب المفوضة هو أَن تؤمن بألفاظ دون مضمون لها ، وتنفي المقصود ، مثلاً عندما قال اللَّه تعالى : ﴿ **ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام** ﴾ لم يخوضوا في هذه الآية ، ولم يفسّروها ، وتركوها على إِطلاقها ، ولم يثبتوا للَّه وجهاً كما أَخبر سُبحانه عن نفسه .

أَما قوله : « وتحويل العلم التفصيلي بالمقصود منها إِلى علم اللَّه » فكذلك ليس هذا مذهب السَّلف ، فمذهب السَّلف هو فهم النّصوص فهماً تفصيليّاً ، وفهم مراد اللَّه في ذلك إِذ قال اللَّه تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون** ﴾ ، فمثلاً قول اللَّه تعالى : ﴿ **كل من عليها فان ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام** ﴾ فسَّرها السَّلف على النحو التالي : أَنَّ الفناء نتيجة حتميَّة لجميع الخلق إِلَّا من شاء اللَّه استثناءَه من الهلاك بنصوص أُخرى ، أَمَّا قوله : ﴿ **ويبقى وجه ربِّك** ﴾ فهو تأكيد على صفة البقاء والحياة للَّه وأَنَّه هو الأَوَّل والآخر ، وعبَّر عن ذلك مستعملاً صفة ذاتيَّة من صفاته أَلا وهي الوجه ، وأَراد بها الكل فضلاً عن إِخبار عباده بأَنَّه سبحانه وتعالى له وجه يليق بذاته وكماله فهو : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

٦ - تعقيب على فصل : ما انفرد به الخلف (ص : ١٤٠ - ١٤١) :

سلك في الصِّفات مسلك المؤولة والمعطلة ، وخاض فيها خلاف ما قرره في المقدِّمة (ص : ٢٦) ، وأَعملَ معول الهدم والتَّعطيل بالآيات مع تناقضه الواضح إِذا أَثبت صفتي السَّمع والبصر مع نقضه لصفة الكلام ، والاستواء ، واليد ، والعين . **مع أَنَّ لله عزّ وجلّ يداً وقدماً وعيناً كما يليق بكمالِه ، فالأمرُ إذنْ قال تعالى :**

﴿ أأنتم أعلم أم الله ﴾ ؟! .

٧ - قال في (ص : ١٤١) « المهم أَنَّ تعلم بأَنَّ كلاً من المذهبين متجهان إلى غاية واحدة ، لأَنَّ المآل فيهما إلى أَنَّ اللَّه سبحانه لا يشبهه شيء من مخلوقاته ، وأَنَّه منزّه عن جميع النقص ، فالخلاف الذي نراه بينهما اختلاف لفظي وشكلي فقط » .

التعقيب : لا زال البوطي يحاول أَن يقنع الآخرين أَنَّ مذهب السَّلف هو نفس مذهب المفوِّضة مع أَنَّ الفرق بينهم كبيرٌ كما مضى تحت رقم (٥) .

وتقريره بأَنَّ الخلاف لفظي فقط صحيح ؛ لكن بين المؤولة والمفوضة ، أما أَهل السنَّة وإمامهم أَحمد بن حنبل فالفرق بينهم وبين المفوضة كبير جداً .

إِنَّ أَهل السنَّة يثبتون للَّه ما أَثبته لنفسه من سمع ، وبصر ، ويد ، وقدم ، وعين ، واستواء ، وتكلُّم ، ومجيء على نحو يليق به سبحانه ، وقاعدتهم قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ تنزيه اللَّه عن المشابهة ، ومن ثمَّتَ إثبات ما أَثبت اللَّه لنفسه ، وأَعلمنا به عن طريق القرآن والسنَّة الصحيحة (إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل) .

٨ - ذكر في (الصفحة ١٤١ - ١٤٢) : « هذا وليس لنا شأْن في هذا المقام بتلك الطوائف التي شذَّت ممن يقال عنهم : المعطلة أَو المجسمة ؛ وهم الذين تخيلوا اللَّه عزَّ وجل في صورة جسم .. إلخ » .

تعقيب : لقد ذكر البوطي المعطلة والمجسمة ، وضرب مثالاً عليهم بأَنَّهم الذين تخيَّلوا اللّه سبحانه على صورة جسم !

فأَقول : إن مجمل العقائد في صفات اللَّه عزَّ وجل أَربعٌ ، وما زاد عليها فهو راجعٌ إلى أَحد هذه الأَربع ، عدا أَهل السنَّة .

(١) أَهل السنَّة : قرأَوا الآيات ، وعلموا المقصود منها ، وآمنوا بما وصف اللَّه به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ على نحوٍ يليق به : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

(٢) المفوِّضة : قرأَوا الآيات وتركوها كما هي ، وآمنوا بها لفظاً دون مضمون ، ولم يخوضوا فيها لا سلباً ولا إِيجاباً !

(٣) المجسِّمة : وهي فرقةٌ - كما هو معروف - جسّمت اللَّه وشبّهته بخلقه ، فقالت : يده وعينه وقدمه ووجهه كالمخلوقات تماماً ، أَي : جوارح من دم ولحم وعصب !!

(٤) المعطِّلة : قرأوا آيات وأَحاديث الصِّفات ؛ فتخيلوا من ظاهر لفظها التجسيم والمشابهة للخلق ، فنفوا هذه الصِّفات (بتأويل) فقالوا : اليد مقصود بها القدرة ، والعين الرعاية والعناية ، والاستواء الاستيلاء ، والقهر ، إِلى آخر الصِّفات ، فأَنكروا ما وصف اللَّه به نفسه على نحوٍ يليق به سبحانه .

فالشاهد أَنَّ البوطي ذمّ المعطلة والمجسمة ، وهو نفسه من المعطلين لصفات اللَّه كما مر آنفاً ، فهو ليس بمجسم ولا مفوض ولا مثبت لصفات اللَّه عزَّ وجل على نحوٍ يليق به سبحانه ، فبقيت الرَّابعة أَلا وهي المعطلة (!) وصدق من قال :

إِن كنت لا تدري فتلك مصيبة أو كنت تدري فالمصيبة أَعظم !

٩ - ذكر في الصفحة (٢٢٠) معجزات رسول اللَّه ﷺ نحو نبع الماء من بين أَصابعه ، ومعراج النَّبيّ إِلى السماء ، والشَّاة المسمومة التي كلّمته ، وغيرها ، وهذه كلّها أَخبار آحاد ، ومع ذلك سردها في باب العقائد ، وطلب الإِيمان بها ، خلافاً لما قرره في التمهيد !! راجع التعليق على الفقرة رقم (٢) .

١٠ - ذكر في الصفحة (٢٩٤) وما بعدها جواز التَّوسل بالأَنبياء أَحياءً وأَمواتاً !!

والتعقيب على هذه المسأَلة أَكبر من أَن يذكر هنا ، فلهذا نحيل القارئ لكتاب شيخ الإِسلام ابن تيميَّة : « قاعدة جليلة في التَّوسل والوسيلة » ، ولكتاب الشيخ ناصر الدين الأَلباني « التَّوسل أَنواعه وأَحكامه » ؛ ففيهما ما يكفي ، ويجعل القارئ على بيِّنة من خلط وتلبيس وتناقض البوطي .

... وللبحث صلة

من أَحكام شهر اللَّه المحرَّم

أُم عبدالرحمن بنت محمَّد عرفات

أَيُّها النَّاس : اتقوا اللَّه وتبصَّروا في هذه الأَيَّام والليال ، فإِنَّها مراحل تقطعونها إِلى الدار الآخرة حتى تنتهوا إِلى آخر سفركم ، وكل يوم يمر بكم فإِنَّه يبعدكم من الدنيا ويقربكم من الآخرة ، فطوبى لعبد اغتنم فرصها بما يقرب إِلى مولاه ، طوبى لعبد شَغَلَها بالطَّاعات وتجنّب العصيان ، طوبى لعبد اتعظ بما فيها من تقلُّبات الأُمور والأَحوال ، طوبى لعبد استدل بتقلباتها على ما للَّه فيها من الحكم البالغة والأَسرار : ﴿ يُقلِّبُ اللهُ الليلَ والنَّهارَ إِنَّ في ذلك لعبرةً لأُولي الأَبصار ... ﴾ .

أَيها النَّاس : إِنَّكم في هذه الأَيَّام تودِّعون عاماً ماضياً شهيداً ، وتستقبلون عاماً مقبلاً جديداً ، فليت شعري ، ماذا أَودعتم في العام الماضي ؟ وماذا تستقبلون به العام الجديد ؟

فلْيحاسب العاقل نفسه ، ولينظر في أمره ، فإن قد فرَّط في شيء من الواجبات فليتب إِلى الله وليتدارك ما فات ، وإن كانَ ظالماً لنفسه بفعل المعاصي والمحرّمات ؛ فليقلع عنها قبل حلول الأَجل والفوات ، وإن كان ممن منَّ اللّهُ عليه بالاستقامة ؛ فليحمد الله على ذٰلك ، وليسأله الثبات عليها إِلى الممات [1].

(١) « الضياء اللامع من الخطب الجوامع » لابن عثيمين (١ / ٣١٣ و ٣١٤)

بتصرف .

إِنَّ أَول شهر يطلُّ علينا للسنة الهجرية الجديدة هو شهر الله المحرَّم ، ولا شك أَنَّ مثل هذا الأَمر لا يخفى عليكم ، ولكن هل لهذا الشهر من أَحكام ينبغي لطالب العلم والحق والدار الآخرة معرفتها ومن ثمَّتَ العمل بها ، إِحياءً لسنَّة المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام ، ورغبةً في الخير والأَجر لمن دعا إِلى الهدى الشرعي : « من دعا إِلى هدى كان له من الأَجر مثلُ أُجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئاً » [١] .

وذاتُ الفتى واللَّهِ بالعلمِ والتُّقى إِذا لم يكونا لا اعتبارَ لذاتهِ

أَوَّلاً : النَّهي عن الظلم فيه :

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ عدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأَرض منها أَربعةٌ حرُم ذلك الدين القيِّم فلا تظلموا فيهنَّ أَنفسكم** ﴾ .

لقد كتب اللَّه تعالى في اللوح المحفوظ يوم خلق السموات والأَرض بأَنَّ عدَّة الشهور عنده اثنا عشر شهراً ، منها أَربعة حرم : ثلاثٌ متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجبُ مُضر بين جُمادى وشعبان .

« فللَّه تعالى الحكمة البالغة فيما يصطفي من خلقه ، فاللَّه تعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ، ومن النَّاس ، ويفضِّل من الأَوقات أَوقاتاً ومن الأَمكنة أَماكن ... وفضَّل اللَّه تعالى بعض الشهور والأَيَّام والليالي على بعض » [٢].

أَمَّا النَّهي عن الظلم المذكور في الآية ، فقد اختلف علماء السَّلف فيه ؛ فمنهم من قال : النَّهي عن القتال المطلق ، ومنهم من قال - وهو الرَّاجح - : النَّهي عن القتال ابتداءً .

---

(١) أخرجه مسلم

(٢) « الضياء اللامع » (٢ / ٧٠٤) .

ومنهم من قال بأَنَّ المراد بالظلم هو ارتكاب الذنوب والمعاصي [١]

فلنحذر – إِخوة الإِسلام – الظلم ؛ ظلم أَنفسنا أَو ظلم الآخرين ، ولنتذكر الوصيَّة الخالدة لرسولنا عليه الصَّلاة والسَّلام : « اتقوا الظلم فإِنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة »[٢] .

ولْنَتَّقِ دعوة المظلوم وإِن كان كافراً أَو فاجراً فإِنَّ دعوته ليس بينها وبين اللَّه حجاب .

ولنحذر كل الحذر من قوله : « ما من ذنب أَجدر أَنْ يُعجل اللَّه تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرَّحم » [٤] .

وحسْبُكَ أَنْ ينجُو الظَّلُومُ[٣]وَخَلْفَه سهامُ دُعاءٍ من قَسِيّ [٥] رُكُوع

فليستبشر المظلومون باستجابة السميع العليم دعاءَهم ولو بعد حين ، ولتقر أَعينهم وتطمئنَّ قلوبهم ، بأَنَّ الظالم هالك في الدنيا والآخرة ، وبأَنَّ اللَّه لا يخلف الميعاد « ولكنَّكمْ قومٌ تستعجلون » .

أَمَّا الذين يعينون الظلمة على ظلمهم وغيِّهم أَيّاً كان موقع الظَّلمة من حكام أَو محكومين ، فإِنَّ الوعيد الشديد ينتظرهم لا محالة : « من أَعان ظالماً ليدحض[٦]بباطله حقاً ، فقد برئت منه ذمة اللَّه ورسوله » [٧].

إِنَّ هذه الأَحاديث الشريفة لكافية لردع من كان له قلب أَو أَلقى السَّمع وهو شهيد عن كل ظلم صَغُر أَم كبر .

---

(١) انظر « فتح الباري » (٨ / ٣٢٤) .

(٢) « صحيح الجامع » (١٠٢) .

(٣) ظالم وظلوم معنى واحد .

(٤) « الصحيحة » (٩١٥) .

(٥) سهام منسوبة إِلى مدينة القس ، وكانت مشهورة بإِتقان صناعة السهام .

(٦) أَي : ليبطل .

(٧) « صحيح الجامع » (٦٠٤٨) .

ثانياً : استحباب صومه مطلقاً وتأكُّد استحباب صوم التاسع والعاشر منه :

قال ﷺ : « أَفضل الصِّيام بعد رمضان شهر اللَّه المحرم » [١] .

وأَمَّا صوم التاسع من مُحرَّم فيستحب ، فقد روى ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما حين صام رسول اللَّه ﷺ يوم عاشوراء وأَمر بصيامه ، قالوا : يا رسول اللَّه إِنَّه يومٌ تعظِّمه اليهود والنَّصارى ، فقال رسول ﷺ : « فإِذا كانَ العام المقبل إن شاءَ اللهُ صمنا التاسع » ، قال : فلم يأتِ العامَ المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ [٢] .

وفي حديث : « لئن بقيتُ لقابل لأصومنَّ التاسعَ » فمات قبل ذٰلك [٣] .

ولقد رغَّبَ الرسول الكريم عليه الصلاةُ والسلامُ في صومِ عاشوراء – العاشر من محرَّم – إذ سُئلَ عن صيام يوم عاشوراء فقال : « يكفِّر السنة الماضية » [٤] .

وكانَ عليه الصلاة والسلام يتحرّى صومَه لقولِ ابن عباس : « ما رأيت النبيَّ ﷺ يتحرّى صيام يوم فَضَّله على غيرِه إلّا هٰذا اليوم ؛ عاشوراء » [٥] .

وكانَ ﷺ يقول : « إنَّ عاشوراء يوم من أيّامِ الله » [٦] .

حقّاً إنّه من أيّامِ الله التي انتصر فيها الحقُّ على الباطل ، والقلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ؛ إنّه يوم نجّى الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام من فرعون وقومه ، فصامه موسى شكراً لله عزَّ وجل ، فلما قدمَ رسول الله ﷺ إلى المدينة وعلِم بصوم اليهود لهذا اليوم سأل عن سبب ذٰلك فقالوا له : إنّهم يعظمونه ؛ لأنّه اليوم الذي نجّى

---

(١) أخرجه مسلم ، وانظر لبيان معناه « شرح مسلم » (٨ / ٥٥) .

(٢ ، ٣ ، ٤) أخرجها مسلم .

(٥) « صحيح الترغيب والترهيب » .

(٦) أخرجه مسلم

الله تعالى فيه موسى من فرعون ، فقال رسول الله ﷺ : « فأنا أحقُّ بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه [١] .

وكانَ صوم عاشوراء في بداية الأمر واجباً ، فلمّا فرض الله رمضان قال عليه الصلاة والسلام : « من شاء صامَ ومن شاء تركَ » ورغّب في استحباب صومه مبيّناً أنّه يكفِّر السنة الماضية .

وقد يقول قائل : كيف يصوم الرسول عليه الصلاة والسلام عاشوراء اقتداء باليهود مع أننا أُمرنا بمخالفة اليهود المغضوب عليهم ؟

ويَرُدُّ على هٰذا القائل بأنَّ الرسول ﷺ كانَ يصومه في الجاهليّة ، بل كانت قريش تصوم يوم عاشوراء ، إذن كان الرسول عليه الصلاة والسلام يصومه قبل قدومِه للمدينة ، ثم تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام لليهود في إخبارهم بأنَّ يوم عاشوراء نجّى الله فيه موسى فصامه موسى شكراً لله تعالى فهم يعظمونه لذٰلك ، ولقد جوّز المازري احتمال أن يكونَ أُوْحِيَ إليه بصدقهم ، وتواتر عنده الخبر بذٰلك ، أو أخبره به من أسلمَ منهم كابن سلام ، وعلى كلٍّ حال فلم يصمه اقتداء بهم فإنه كان يصومه قبل ذٰلك ، وكانَ ذٰلك في الوقت الذي فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم يُنْهَ عنه [٢] .

قاعدة الموافقة تقتضي المُشابهة :

فرسول اللهِ عليه الصلاة والسلام لم يوافق اليهود في تعظيم ذٰلك اليوم على طريقتهم بل خالفهم بصوم يوم قبل العاشر من محرم وهو التاسع .

أما صوم يوم بعده ؛ فقد وردَ فيه حديث : « صوموا يوم عاشوراء وخالفوا

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) انظر « فتح الباري » (٤ / ٢٤٨) .

اليهود صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً » فقد ذكر الشيخ الألباني في تعليقاته النفيسة على « صحيح ابن خزيمة » (٣ / ٢٩٠) أنّ إسناده ضعيف ؛ لسوء حفظِ ابن أبي ليلى ، وخالفه عطاء وغيره ، فرواه الطحاوي والبيهقي عن ابن عباس موقوفاً ، وسنده صحيح .

ولهذا تعلم - أخي القارئ - ضعف قول من قال: إنَّ صيام عاشوراء مراتب أعلاها أن تصومَ يوماً قبله أو يوماً بعده ، ويبقى قول الصحابي ابن عباس شاهداً قوياً على صوم التاسع والعاشر لتحقيق مخالفة اليهود ، ولهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيميّة في « مجموع الفتاوى » (٢٥ / ٣١٢) ، والله أعلم .

ويلحق بموضوعنا مبحث هام وهو :

التحذير من بعض الأحاديث الضعيفة في فضل عاشوراء :

١ - « من وسَّع على عياله في يوم عاشوراء ، وسَّع اللَّهُ عليه في سنته كلِّها » .

ضعيف كما في « تمام المنَّة » للألباني (ص ٤١٢) .

٢ - « من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبداً » .

موضوع كما في « الضعيفة » (٢٢٤) .

وموقف أهل السنَّة من يوم عاشوراء بأنَّه ليس يوم مزح ولا قدح ، والسنَّة صومه، كما صامه رسول اللَّه ﷺ بل ورغَّب في صومه، ولكنْ قاتل اللَّه أهل البدع .

٣ - حديث «كان ﷺ يعظمه ويدعو برضعائه ورضعاء فاطمة فيتفل في أفواههم ويأمر أُمهاتهن ألَّا يرضعن إلى الليل » .

ضعيف كما في « صحيح ابن خزيمة » (٢٠٨٩) .

وختاماً : هذا ما يسَّره اللَّهُ تعالى في هذا المبحث المهم عن أحكام شهر الله

المحرَّم ، وإِنْ كنت أَدعو القارئ الكريم أَنْ يقف بنفسه على هذا المبحث في أُمّات كتب الفقه ، وكتب العقيدة الرادة على أَهل البدع وغيرها من الكتب التي عُنيت بهذا الموضوع .

وأَنْ يطلع على كتاب ابن تيميَّة « رأْس الحسين » ، وكتاب « استشهاد الحسين » لابن كثير ، وكذا كتاب « العواصم من القواصم » لابن العربي المالكي ، ليعلم حقيقة فتنة الحسين بن علي رضي اللَّه عنهما من منظور أَهل السنَّة السلفيين ، وليعلم حجم البدع والمنكرات التي يقيمها الرافضة باسم حب آل البيت والتشيُّع لهم ، وليكونَ على بصيرة من تاريخه ومن خلال الأَخبار المرويَّة في تلك الفتنة العظيمة ، والتي ما زالت الأُمَّة إِلى اليوم تدفع ثمنها ، وبتشويه التاريخ الإِسلامي ، كل ذلك باسم التشيع لآل البيت ، وتكفير الذنوب بمقتل الحسين بقتل أَهل السنَّة ، وتدبير المؤامرات ضدَّهم ، وزرع الخوف في نفوسهم ، فقاتل اللَّه أَهل البدع والأَهواء يقاتلون أَهل الإِسلام ويتركون أَهل الأَوثان .

نسأَل اللَّه تعالى السَّلامة من البدع ، ومن المحدثات في الدين .

مسائل وأجوبتها

المحدّث العلّامة محمد ناصر الدين الألباني

السؤال : ما هي الأُسس التي من خلالها يمكن للعالم الإسلامي أن ينهض من جديد ؟

الجواب : الذي أعتقده هو ما جاء في الحديث الصحيح الذي هو جواب صريح على مثل هذا السؤال وأمثاله التي تطرح في العصر الحاضر ، وهو قوله ﷺ : « إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد في سبيل اللّه سلط اللّه عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم »[1] ، فالأساس هو الرجوع إلى الإسلام .

وهذا الأمر قد أشار إليه الإمام مالك - رحمه اللّه - في كلمة مأثورة تكتب بماء الذهب ، وهي قوله : من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، اِقرأوا قول اللّه تبارك وتعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً** ﴾ ، فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً ، **ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها** .

(١) « الصحيحة » (١١) .

هذه الجملة الأخيرة هي بيت القصيد فيما يتعلق بالجواب عن هذا السؤال ، حيث قال رحمه الله : **ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها** ، فكما أن العرب في الجاهلية ما صلح أمرهم إلا بعد مجيء نبيهم محمد ﷺ بوحي السماء الذي أسعدهم في الدنيا ، وسينجيهم في الأخرى ، فالأساس الذي ينبغي أن تكون عليه الحياة الإسلامية السعيدة في هذا الزمان ليس إلا الرجوع إلى الكتاب والسنة .

غير أن هذا الأمر يحتاج إلى شيء من التفصيل ؛ لكثرة الجماعات والأحزاب الإسلامية الموجودة في الساحة والتي تدّعي لنفسها أنها وضعت المنهج الذي يُمَكِّنها من تحقيق المجتمع الإسلامي والحكم بالإسلام .

ونحن نعلم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أن السبيل إلى تحقيق ذلك إنما هو سبيل واحد وهو ما ذكره الله عز وجل بقوله : ﴿ **وأَنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله** ﴾ ، ولقد وضحه رسول الله ﷺ لأصحابه ؛ فقد خط لهم يوماً خطاً مستقيماً على الأرض ثم خط على جانبيه خطوطاً قصيرة ، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام وهو يمر بأصبعه الشريفة على الخط المستقيم الآية السابقة ، ثم أشار إلى الخطوط التي على جانبي الخط المستقيم ، ثمَّ قال : « هذا سبيل الله وهذه السبل على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو له »[١] .

وقد أكّد ربنا عز وجل بآية أخرى ما ذكر في الآية السابقة مع شرح رسول الله ﷺ لها في الحديث المذكور آنفاً ؛ فقال تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونُصْلِه جهنم وساءت مصيراً** ﴾ ، ففي هذه الآية حكمة بالغة ، فقد عطف سبحانه سبيل المؤمنين على ما جاء به الرسول ﷺ ، وهذه النكتة أشار إليها رسول الله في حديث الافتراق عندما سئل عن الفرقة الناجية فقال : « ما أنا عليه اليوم وأصحابي »[٢] .

---

(١) صحيح ، كما في « ظلال الجنة في تخريج السنة » (١٦ ، ١٧) .

(٢) « الصحيحة » (٢٠٣) .

فما هي الحكمة في ذكر اللّه عز وجل في هذه الآية سبيل المؤمنين ؟ وما هي النكتة في عطف رسول اللّه ﷺ أصحابه على نفسه في الحديث السابق ؟

الجواب : أن هؤلاء الصحابة الكرام هم الذين تلقوا الوحيين من رسول اللّه ﷺ مبيّناً منه لهم مباشرة دون واسطة كما هو شأن من جاء من بعدهم ، ولا شك أن الأمر كما قال رسول اللّه ﷺ : « إن الشاهد يرى مالا يرى الغائب »[1] ، ولذلك كان إيمان الصحابة الأولين أقوى من إيمان مَن جاء بعدهم ، وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ في الحديث المتواتر : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، وعلى هذا فلا يستطيع مسلم أن يستقلَّ بفهم الكتاب والسنة بشخصه ، بل لابد أن يستعين على فهمهما بالرجوع إلى الأصحاب الكرام الذين تلقوا ذلك عن النبي ﷺ مفسراً تارة بقوله ، وتارة بفعله ، وتارة بتقريره .

فإذن من الضروري جداً أن نضمَّ إلى الدعوة إلى الكتاب والسنة السَّيْرَ على ما كان عليه سلفنا الصالح ؛ إعمالاً لما سبق ذكره في بعض الآيات والأحاديث المتقدمة حينما ذكر اللّه سبيل المؤمنين ، وذكر نبيه الكريم وأصحابه إلى فهم الكتاب والسنة على ما كان عليه سلفنا الأول من الصحابة رضي اللّه عنهم ، ومن تبعهم بإحسان .

ويأتي هنا سؤالٌ هام جداً يغفل عنه كثير من الجماعات أو الأحزاب الاسلامية ، ألا وهو : ما هو السبيل إلى معرفة ما كان عليه أصحابه من فهم وتطبيق لهذه السنة ؟

الجواب : لا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى علم الحديث ؛ علم مصطلح الحديث ، وعلم الجرح والتعديل ، وتطبيق قواعده ومصطلحاته حتى يتمكّن العلماء من معرفة ما صحَّ عن النبي ﷺ مما لم يصح .

وكي نختم الجواب نقول بعبارة أوضح للمسلمين الذين يريدون أن يعيدوا العزة للإسلام ، والمجد للإسلام ، والحكم للإسلام : لا بد لكم أن تُحَقِّقوا أمرين اثنين :

(١) « صحيح الجامع » (١٦٤١)

أمّا الأمر الأوّل : فهو أن تُعيدوا إلى أذهان المسلمين شريعة الإسلام مصفَّاة من كل ما دخل فيها مما لم يكن منها يوم أنزل اللّه تبارك وتعالى قوله : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ ، وإعادة هذا الأمر اليوم كما كان في العهد الأول يحتاج إلى جهود جبارة من علماء المسلمين في مختلف أقطار الأرض .

والأمر الآخر : ينبغي أن يقترن العمل الجادّ الدؤوب بهذا العلم المصفَّى .

ويومَ يعودُ المسلمون إلى فهم دينهم كما كان يفهمه أصحاب رسول اللّه ، ثم يعملون على تطبيق هذا الإسلام المصفى تطبيقاً عملياً صحيحاً في جميع مناحي الحياة ، يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر اللّه .

هذا ما أستطيعُ قوله في هذه العجالة سائلاً اللّه لنا ولعامة المسلمين أن يُفَهِّمَنا الإسلام فهماً صحيحاً على ضوء كتابه وسنة رسوله الصحيحة وعلى ما كان عليه سلفنا الصالح ، وأن يوفِّقنا للعمل بذلك ، إنَّه سميع مجيب .

قال بعض اهل العلم :

« التمكين للمؤمنين وعد من اللّه ، والرجوع إلى الدين شرط للّه ، ولا يتحقَّق الوعد إلا بأداء الشرط » .

أحوال العالم الإسلامي

التحرير

● **كونفدرالية في سراييفو :**

استطاع (العَرّاب) الأنجلو أميركي أن يعقد اقتراناً غير متناظر بين مسلمي البوسنة (وكرواتها) ؛ فَأُعلن قيام اتحاد كونفدرالي بينهما ... حيث خُيِّل لمخدوعي المسلمين أنهم يستطيعون تحييد (الكروات) ومن ثم استعطاف حلف الأطلسي لِيَفي بوعده ؛ ﴿ **وما يعدهم الشيطان إلا غروراً** ﴾ أو ذلك بتوجيه ضربات جوية لجموع الصرب التي تضيِّق الخناق على كل قرية في البوسنة على مرأى ومسمع مجلس الشقاق والنفاق .

ولكن الأماني طاشت ، والأحلام تبخرت وإذا بمرتزقة الأحابيش الدوليين - الذين زعموا حماية المستضعفين من الشيوخ والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً - يقترفون الموبقات فيمارسون الفاحشة مع النساء المسلمات وسط سراييفو ، ولم يقنعوا بذلك بل أجبروهنّ على امتهان (البغاء) !!

وإذا بحشود الصرب تُحكم الحصار على جيب (جورازد) شرقي البوسنة لترتكب مجزرة ستبقى وصمة عار في جبين شريعة الكفر الدولية ، وسبة شَنَار في وجه دعاة الإنسانية .

ومن العجائب - والعجائب كثيرة - أنك لا تقرأ في مفردات معجم السادة والكبراء إلا الشجب أو الاستنكار ، ثم رفْع ذلك إلى حاضرة الاستعمار ، والجثو بكيّاً أمام أسوار قلعة الأشرار في عاصمة سيدة العالم الحرّ ... وقد قيل ... وما أحسن ما قيل لأمثال هذا القبيل :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلامُ

● **جراح المسلمين كيف يستثمرونها ؟**

صورة أفجع من أنين الثكالى والأيامى والأيتام الذين فُجعوا بآبائهم أو إخوانهم أو أبنائهم يمارسها المتاجرون بدماء المسلمين ... فما حدثت مجزرة ، أو نشبت حرب ، أو حصلت مجاعة إلا وظهر في سوقها شرذمة يقطفون ثمارها وكلٌّ بحسبه :

ف « الساسة » يسارعون إلى تمرير مخططاتهم حيث يدفعون بالأمة إلى هاوية اليأس لتردد معهم (ليس بالإمكان أبدع مما كان) ! و (ولو اطلعنا على الغيب لاخترنا الواقع) ! تحت شعار الذل ودِثار الخزي (خُذْ وطالب) (!)

و« سماسرة الحروب وتجار الشعوب » يملؤون الجيوب من الأموال التي تنهال من كل حدب وصوب للتخفيف من الجراح وتزويد المستضعفين بالسلاح ... ولكن الملايين لا تصل إلا إلى أذناب الأحزاب .. والشواهد تملأ مئةَ كتاب .

و« محاربو الفنادق » يطلبون الطعن والنزال في الغرف المغلقة والدهاليز المظلمة تحت قرع الكؤوس التي تدير الرؤوس ، وحاديهم يترنَّم معارضاً عمرو بن كلثوم :

(أَلا هُزِّي بِخَصْرِك فاطربينا)

ولا تبْقي خمورَ الأندرينا

وإنْ ذبح اللئام لنا رضيعاً

مَلَأْنا الجَيْبَ زَلْزَلنا اليقينا

ألا ما أغرب هذا الحال ! ما أعجب هذا المآل ! ... أمة نكبت بأيدي أبنائها قبل سيوف أعدائها ... والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

القراء ... منهم وإليهم

التحرير

□ وصلت رسالة إلى (**الأصالة**) من الأخ الفاضل مصطفى عيد الصياصنة من السعودية مثقلة بالأشواق الحارة ، يقول فيها : السَّلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته .

لقد اطَّلعت على ما صدر إلى الآن من أعداد (**الأصالة**) الغرَّاء ، وإنِّي إذ أشكر لكم جهودكم الطيِّبة في إصدار هذه الرِّسالة التي تعبر تعبيراً صادقاً عن **المنهج السَّلفي الأصيل** ، الذي طالما تُقْنا إلى ذلك اليوم الذي نرى له فيه منبراً إعلاميًّا متميزاً يشق طريقه ، ويُثْبِت فاعليته وأثره في خضمِّ عالم يموج بالأفكار الزائفة والعقائد الفاسدة ، والتوجهات الضَّالة التي لا تقوم على أسٍّ أصيل ، ولا تعتمد على برهان أو دليل ، ولا تستضيء ببازغة علم أثيل ، وأنا إذْ أتمنَّى على اللَّه تعالى أنْ يجعل عملكم لوجهه خالصاً وعلى طريقه سداداً ، فإنِّني أود المساهمة معكم ببعض ما لدي ... واعداً إيَّاكم باستمرار المواصلة على الدرب الواضح المسدد بما يوفقنا اللَّه إليه .

(**الأصالة**) تحيِّي الأخ الفاضل مصطفى الصياصنة على تعاونه وجهوده ، وترحب به أخاً وصديقاً وكاتباً من كتَّابها ، وتتمنَّى له المزيد من فضله ، وهي على استعداد لنشر كل نافع طيب من مشاركات الأخوة ، علمية أو أدبيَّة ، كما تشكركم

على ثنائكم عليها وعلى القائمين عليها ، راجينَ أن نكونَ عند حُسْن الظنِّ ، وأن يوفِّقنا اللهُ لكلِّ خيرٍ وبرّ ، واللَّه يحفظكم ويسدد خطاكم .

□ ووصلت إلى (**الأصالة**) رسالة من مدير مركز الدعوة والإرشاد بدولة البحرين الشيخ سليمان بن عبداللَّه الطريم .

وقد استلمها رئيس التحرير أثناء زيارته للبحرين وأطّلاعه على نشاط مركز الدَّعوة العلمي والدعوي ، مما كان له أكبر الأثر الطيِّب في توجيه الصحوة الإسلاميَّة في البحرين نحو الخير والاعتدال ، وتصحيح العقيدة واتباع السنَّة ضاماً جهده إلى جهود المخلصين من طلبة العلم ، وبعض الجمعيَّات الإسلاميَّة التي تتبنَّى منهج السَّلف الصالح ، فجزى اللَّه الجميع خيراً .

وتحوي الرسالةُ - بعد السلام وشيء من الثناء - على تعريف بالمركز وأهم نشاطاته ، ثمَّ قال :

لقد تم إنشاء مركز الدعوة والإرشاد بدولة البحرين عام ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، وكان الغرض من إنشائه نشر الدعوة ، وتوعية الجاليات ، ونشر تعاليم الإسلام ومبادئه لغير المسلمين ، وذلك بتوزيع الكتيِّبات التي تحتوي على مبادئ الإسلام وتعاليمه السمحة باللغة العربيَّة واللغات الأُخرى ، وإقامة الندوات والمحاضرات ، وكذلك إقامة الدروس الدينية بمختلف مساجد البحرين ، والرد على أسئلة السَّائلين واستفساراتهم بواسطة لجنة الفتوى بالمركز .

كما يحتوي المركز على مكتبة عامرة ، يبلغ عدد المشتركين بها حوالي (٢٦٠٠) مشترك ، وتتبع نظام الإعارة ، وكذلك المطالعة داخل المكتبة ، وكذلك المكتبة الصوتيَّة التي تحتوي على الكثير من المحاضرات والندوات التي يقوم بإلقائها العلماء والمشايخ ، وكذلك قراءات القرآن الكريم .

وفي مجالات الدورات والمحاضرات ، قام المركز مؤخَّراً بتنظيم دورة في الفقه ، وكذلك سيعقد دورة في القرآن الكريم وعلومه .

وبعد ؛ فهذه بعض أهداف المركز ، وبعض نشاطاته التي أَسأَل اللَّه تعالى العلي القدير أَنْ ينفع بها الجميع ، وأَن يوفِّقه لخدمة الإِسلام والمسلمين .

و (**الأَصالة**) تبارك جهود الأُخوة في مركز الدعوة والإِرشاد ، وتسأَل اللَّه لهم المزيد من التوفيق والسداد في خدمة دعوتنا الإِسلاميَّة وعقيدتنا السَّلفيَّة ، وتحيات أُسرة (**الأَصالة**) لجميع العاملين في حقل الدعوة الإِسلاميَّة في البحرين الشقيق بخاصّة ، وفي كلِّ بلاد المسلمين عامّة .

□ تودُّ (**الأَصالة**) أن تُنبِّهَ قُرّاءَها الأفاضلَ من طلبةِ العلمِ على بعضِ **الأخطاءِ المطبعيّة** التي وقعت في العدد السابق / العاشر ؛ وذلك لظروف خاصّة خارجةٍ عن الوُسْعِ ، مُعتذرةً عن ذلك أشدَّ الاعتذار ، مُذَكِّرةً أنَّ كلّ **عملٍ بشريٍّ** مهما اجتهدَ في إتْقانِه ، فإنَّ مواردَ الخطأ والزَّلَلِ إليه واصلةٌ دونما شكٍّ .

وأهمُّ ما **يجبُ** التنبيهُ عليه هو ما وقع في مقال الأخ الفاضل الودود الشيخ خالد العنبري حفظه الله : « الطريق إلى الحُكمِ بما أنزلَ الله » (ص ١٨) حاشية رقم (١) السطر الخامس والسادس من الحاشية ، وذلك قوله : « وليسَ ينسحبُ بحالٍ على جميعِ الحكّام في كلِّ الأزمان ، **ولا** على من تلبَّس بمثلِ ما تلبّسوا به من نواقض الإِسلام .. » .

فالصوابُ في ذلك : « .. **إلّا** على مَن تلبس بمثلِ .. » إلخ .

وقريبٌ من هَذا الخطا أيضاً ما وقع في الصفحة نفسِها ، والحاشية ذاتها مِن قولِه : « والدليل على أنَّ ابنَ كثير **لم** يذهب إلى ما ذهب إليه هؤلاء المفسِّرون .. » .

فالصوابُ حذفُ حرف (لم) .

وهناك أخطاءٌ أخرى أقلُّ أهمّيةً من هذه لا تخفى - لوضوحها - على قرّائنا الألبّاءِ ؛ الحريصين على سلامة النهج ، ونقاوة السبيل ، ولكنْ لا بُدَّ ممّا ليسَ منه بدٌّ !

مُكرِّرين الاعتذارَ من الإخوة القرّاء عموماً ، والأخ كاتب المقال خصوصاً ، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح .

السَّليم و المقعد !

التحرير

عندما ينشغل الصِّغار – من طلبة العلم والمبتدئين فيه – بالمسائل الكبار ، التي لم يَحُطُّ العلماء المحققون الأَخيار على قول واحدٍ فيها !

وعندما تراهم مندفعين على الإِصرار أَنَّ القول الحق فيها عندهم فحسب ، وكل من يخالفهم ليس إِلَّا ضال ... أَو مارق .... أَو مرجئ ... أَو مبتدع .

وعندما تسمع تطاول هؤلاء على البقيَّة من السَّلف الصالح ، ونبزهم إِيَّاهم بأَبشع الأَقاويل وأشنعها ! .

وعندما يتكلَّم هؤلاء غير مبالين بأَحدٍ ، ويتداعون فيما بينهم على إِسقاط (فلان) ومحاربة (علَّان) !

... فاعلم أَنَّ هؤلاء ممن يمهِّدون للانحلال والفساد بين المسلمين – سواءٌ علموا أم جهلوا ! وأحلاهما مرٌّ ، وخيرهما شرٌّ ! – وأَنَّهم يمكّنون للضعف والخور في نفوسهم ، وللوهن والفشل في عزائمهم ، وللزيغ والاعوجاج في فطرتهم ، وللرثاثة والنكث في روابطهم .

واعلم أَنَّ هؤلاء الرهط ولو جمعهم (نظام) وكان بينهم (انسجام) ، فهم

على كثرة (اللدد) في الخصومة ، ووفرة (اللجاج) في المعارضة ، ومصائب (التَّفرق) و (الخلاف) فيما بينهم ؛ فإنَّ مصيرهم ومآلهم إلى يباب وتباب ، وحقيقٌ أَن يُكتب على قفاهم : (لا يفلحون) !

والعجب من أَهل هذا الزَّمان ، ولا سيَّما ممن له اشتغال بـ (مَسْك) القلم بالبنان ، فأَصبح الواحد منهم إنْ أَراد أَنْ يظهر اسمه ويطير في الرّكبان ، ويلمع نجمُه في سائر الأَصقاع والبُلدان ، فليكتب ردَّاً على أحدٍ من (أئمة هذا الزَّمان) ، أَو ينشر شريطاً ينبز ويطعن في بعضهم من غيرِ وازعٍ ولا إيمان .

وهم في ذلك كُلِّه مُتَعَنِّتونَ ، مُتكلِّفونَ ، سيِّئوا الظنِّ ، سوداويُّو النظرةِ ، يجهلونَ أبجديّاتِ العلمِ ، وتخفى عليه ضروريّاتُه !!

وهؤلاء الطاعنون وأَولئك النابزون - والذي رفع السَّماء ووضع الميزان - لو أَطبقوا على مدحِ بعضٍ من أئمّةِ العلمِ هؤلاء ، لما التفت إليهم أَحد من أَهل الفن والشأن ، فما بالك في قدحهم وقولهم الشان !

ورحم اللَّه من قال :

لا ترغبن بذكرنا عن ذكرهم

ليس السليم إذا مشى كالمقعد